أخرجوا من بلادنا

دعوة للجهاد وتوجيه للكفاح وإعداد للنضال

الانجليز أعداء وأذنابهم مجرمون.

بقلم

أنور الجندي

محرم ١٣٦٥ — ديسمبر ١٩٤٦

دار الطباعة والنشر الإسلامية

رسائل تاريخ الفكرة الاسلامية

المجموعة الثانية

قضية وادى النيل والاحتلال الانجليزى

(١) اخرجوا من بلادنا

(٢) النيل لا يتجزأ

(٣) زعماء الأحتلال بين الأحزاب والحكم

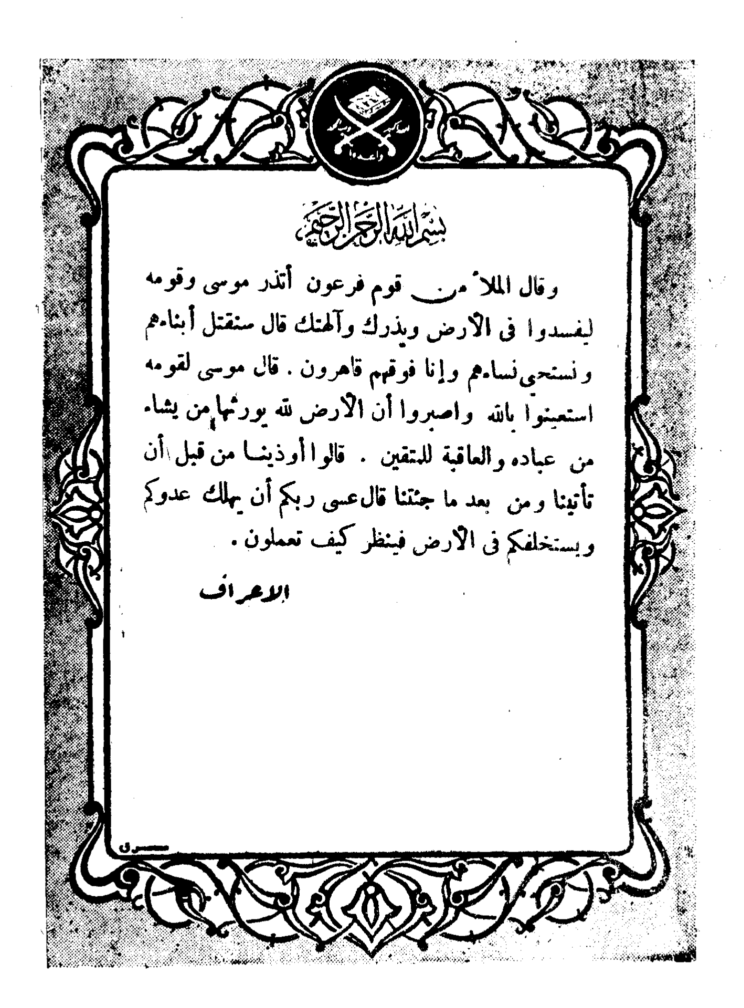
(٤) لا حزبية بعد اليوم

المجموعة الثالثة

الشرق الاسلامى بين الاستعمار والحرية

المجموعة الرابعة

مجتمعنا والبيت الاسلامي



بسم الله الرحمن الرحيم

وقال الملأ من قوم فرعون أتذر موسى وقومه ليفسدوا فى الأرض ويذرك وآلهتك قال سنقتل أبناءهم ونستحيي نساءهم وإنا فوقهم قاهرون . قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا أن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين . قالوا أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا قال عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم فى الأرض فينظر كيف تعملون .

الأعراف

بسم الله الرحمن الرحيم

حرية الأوطان وكرامة الأمم وعزة الشعوب لاتنال على موائد المفاوضات ولكن تنتزع فى ميدان الجهاد .

وسبيلها أن يعرف الشعب حقه معرفة كاملة ويؤمن به إيمانا صادقا ، ويتمسك به ولايخشى فى سبيله المدافع ولا الأساطيل ولا السجن والنفى والتشريد . وطالب الحرية صاحب حق فهو مظلوم وعدوه متمسك بباطل فهو ظالم .

مطلبنا واضح صريح لا يحتاج إلى مفاوضة أو محادثة فمن بغى وغدر واحتل الأوطان ظلما وعدوانا ، عليه أن يجلو عنها دون شرط أو قيد وكل مفاوضة فى هذا تعتبر مساومة على حقوق الوطن وإهدار لكرامة الشعب وسحق للحرية .

أنور الجندى

الاستعمار الانجليزى لوادى النيل

بقلم بلنت

مؤلف (التاريخ السري لاحتلال انجلترا مصر)

سنة ١٩١٠

« . . . احذروا منا فاننا لانريد لكم شيئا من الخير ولن تنالوا منا الدستور ولا حرية التعليم ولا الحرية الشخصية وما دمنا فى مصر فالغرض الذى نسعى اليه من البقاء فيها هو أن نستغلها لمصلحة صناعتنا القطنية فى منشستر ، وأن نستخدم أموالكم لتنمية مملكتنا الافريقية فى السودان،وأن نستمد بأقل حياء من الماضى فى تنمية مشروعاتنا المالية الانجليزية الصهيونية فى بلادكم وأن نقيد أيديكم وأرجلكم لنجعلكم هدفا لاطماعنا الاقتصادية لم يبق لكم عذر ، إذ أنتم انخدعتم فى نياتنا بعد أن وضح الأمر فيها وضوحا تاما ، فاحذروا أن تنساقوا إلى الرضا باستعباد بلادكم ودمارها. ثابروا على أن تعارضونا معارضة جهرية جريئة كل يوم ، اطلبوا بلسان واحد ، وفى كل فرصة أن يوضع حد لما تتألمون منه ، وأن نعود نحن إلى خطيرة القانون وأن نسحب جنودنا من بلادكم وأن نكف عن التدخل فى شؤونكم ، اطلبوا ذلك فانكم بطلبه لا تخسرون شيئا ، إذ نحن غرباء فى بلادكم ، ومن حقكم أن تطالبونا بترككم ، وذكرونا دائما ، وبكل وسائل الأعلان بأن لاحق لانجلترا فى أن تتصرف فيكم تصرف السيد ، وإنكم لاتريدوننا حامين لكم ، ولا مستشارين ، ولا منظمين لادارتكم ، ولا تتركوا لنا عذراً نعتذر به لندعى لأنفسنا شيئا من ذلك

اظهروا معاداتكم لنا بصراحة ، ولكن لاتظهروها بثورات سابقة للاوان لاتفيدكم شيئا ، بل بتلك الوسائل التى تستطيعها كل الشعوب التى تمنى بالأجنبي

لتثبت له استياءها ، وهى مقاطعته فى معاملاته التجارية والرسمية وفى علاقات الأفراد بعضهم ببعض

وفى اليوم الذى يفهم فيه ذهن جمهورنا الثقيل أن الفائدة من احتلال بلادكم لاتوازى المتاعب والاخطار التى يسببها لنا،نرى أنكم محقون ونترك بلادكم ـ وثقوا بأننا لن نترك بلادكم قبل ذلك بلحظة واحدة

« طبق الأصل »

بلنت

وصية

بقلم المجاهد الشاب مصطفى كامل

« دعو البكاء للأرامل والأيامى وسكان الأديرة والكهوف وانشئوا أمة جلاء وصراع وحتوف . .

« معركة الجهاد مع الغاصب والعدو الألد معركة حامية وإنكم سوف تربحونها ولو طال عليكم الأمد

« لاحياة مع اليأس ولا يأس مع الحياة . . »

دعوة لجهاد الانجليز واذنابها

بسم الله الرحمن الرحيم

نستعين به فى ظلمات الخطوب . ونسأله العون فى غوامض الآمور ، ونجعله السناد الأوحد حين نقف فى وجه الدنيا لنعلن فيها كلمة الحق صادقة لانخاف فيها لومة لائم ولانرهب من أجلها إنسان ولانرضى بها أحداً ، إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى .

تلك مجموعة قد انتهت بحمد الله المنان الممنا فيها إلماما سريعا (بالحركات الإسلامية الأخيرة) لجليناها ووضحناها وأوجزناها وجعلناها خالصة سائغة تغنى عن البحوث المطولة وتسعف المراجع فى أقصر وقت ، فيلم بتطاورات الفكرة الاسلامية فى قرن كامل من الزمان ، منذ مائة عام أو يزيد ، وتصور ما أصاب الاسلام ثم كيف استيقظ وبدأ يزحف إلى قواعده زحفا قويا جباراً لا شك فيه

أما اليوم فامامنا قضية بنى وطننا ، قضية مصر ، قضية وادى النيل ، قضية الحرية والعزة والثورة ، قضية البلد الذى يتزعم الجامعة العربية ويسلم اليه قيادة العالم الاسلامى ، قضيه الوطن الذى يحتضن الفكرة الاسلامية اليوم فى ثوبها القوى الزاهى ، ويسير بها إلى الأمام

قضية وادى النيل العزيزة ، بشماله وجنوبه ، من منبعه إلى مصبه ، هذه القضية التى تقف أشبال الوادى الآن متأهبة للدفاع عنها وللكفاح فى سبيلها وللجهاد لها ، ولتقديم الفداء أيا كان لونه على مذبحها ، فاما حياة تبعث الموت فى البلى ، واما استشهاد يعذر به الشهيد إلى ربه من ظلم الغاصبين ، وطغيان الظالمين ، واحتلال الآثمين ، هذا الوطن العزيز الذى استقبل الاسلام فى فجره إستقبالا كريما وانضوى تحت لواء النبي المنصوب قويا مؤمنا طاهراً ، هذا الوطن الذى ظل كنانة الله فى أرضه منذ أوجده الله ، هذا الوطن العزيز الذى قاد كتائب النصر ورد التتار وهزم الصليبيين وأسر وتشرد ملك الانجليز والذى جند كتائبه محمد على وقذف بها ذات الشمال وذات اليمين ففتحت الدنيا وجعلت البحر الأحمر بحيرة إسلامية

ووصلت إلى حدود تركيا شمالا بل إلى جزيره المورة على الوجه الأصح وأوغلت جنوبا إلى منابع النيل وذهبت شرقا إلى حدود جزيرة العرب

هذا الوطن ، غفل أهله عنه ، فاقتحمه الغاصبون من الانجليز باسم تثبيت عرش الخديو ثم اتفقوا مع فرنسا على معاهدة إطلاق الأيدى فى أرض الاسلام العزيزة فثبتت فرنسا إستعمارها الاجرامى فى المغرب وفرضت إنجلترا نفسها فى مصر ، وظلت انجلترا تعد وعودها الكاذبة المضللة بالجلاء سنينا وأعواما ، وهى تزداد إمعانا وسيطرة وسلطانا ، عاونها على هذا الامعان والسيطرة فريق من بنى الوطن ضعف إيمانهم بحقوق وطنهم فساوموا فيها وضعفت ثقتهم بأبناء وطنهم فعقدوا بينهم وبين الانجليز صداقة !

ولكن صيحة الوطن دوت على لسان دعاة الوطنيين المخلصين فأيقظت من غفل عن حق وطنه ، فانطلق وراء الداعى يعد نفسه ليخلص هذه الحقوق ، وقد عرف الشعب منذ ذلك اليوم أنه لا صداقة مطلقا بينه وبين الانجليز ولا تفاهم ولا آصره من ود أو إخلاص إلا إذا جلت هذه القوات الغاشمة عن الوطن جميعه بره وبحره ، وأن الغاية الكبرى للعاملين للوطن كانت الجلاء عن مصر والسودان ، ولا مفاوضة إلا بعد الجلاء ، أما العروض والتفاهم والمفاوضات فكلها عبث وكلها مساومة على الحقوق الثابتة وليس بين المصريين وبين الانجليز إلا الخصومة الدائمة والمقاطعة والكراهية والمقت إذا أصرت على إحتلال وطن حر ، لا حق شرعى لها ولا أدبى فى إحتلاله وفرض سيادتها عليه ، ولا فى فرض الحماية عليه من عام ١٩١٤ إلى سنة ١٩٢٢

ولقـــد حاول الشعب أن يطالب بحقه فردته انجلترا رد العبودية والاذلال فثار ثورته وفار فورته وقدم ضحاياه وحطم كل ما فى طريقه وبرهن على رجولته وإيمانه وكرامته وقوته ، وبهر الدنيا وهز العالمين وأثار المشرقين حين جرى الدم مسفوحا على الأرض ، دم الشباب الطاهر البرىء الذى كان ينادى بالحرية والاستقلال والجلاء جرى برصاص الظلمة السفاكين ، الانجليز ، ليردوا هذا الصوت وليقتلوا هذه الصيحة وليميتوا هذا النداء

وبعد أن قدمت مصر قربانها على مذبح الحرية، برز جماعة من الناس إدعو لأنفسهم الحق فى التحدث عن هذا الوطن من غير تلك الفئة المخلصة المضطهدة التى سجنت وشردت والتى لم تدع للتفاهم بينها وبين الانجليز سبيلا مالم تجلو جيوشها وتطهر الأرض المصرية منها

نعم قامت فئة أخرى، من العجائز والكهول، من صنائع الاستعمار، من تلاميذ كرومر ومصطفى فهمى، من الذين عاشوا وحكموا فى عهد المهانة، ومن الذين سجنوا فريدا ووقعوا معاهدة السودان ١٨٩٩ وحضروا محاكمة دنشواى، قاموا باسم الوطن ليدافعوا عنه، ونسوا أنهم أعضاء حرب الأمة الذى صنعه كرومر ليخفف به حدة الحزب الوطنى

قاموا يطالبون بالحقوق الوطنية التى عرضها الشعب واضحة جلية فى الاستقلال والسودان والجلاء فنتحوا بينهم وبين الانجليز بابا من التفاهم ثم اتسع هذا الباب حتى أصبح بابا من الاستجداء والمساومة على الحقوق الواضحة، والمنافقة بالألفاظ الطنانة، وتعظيم إنجلترا وإجلالها ووصفها باطلا بحامية الحريات والمدافعة عن حقوق بنى الانسان وشكرها على ما قدمت للوطن من خدمات وإيمان بالتحالف والصداقة والمودة بيننا وبينها، لأننا ضعفاء وهى قوية ولا بد للضعيف من قوى يلوذ به، ولذلك لا بد من معاهدة ومن مفاوضة ومن محالفة وخدعوا البلد فى حقوقه الواضحة فساوموا عليها، وخدعوا الامة فى مطلبها الصريح فجعلوه محلا للتفاهم والبحث وقدموا للانجليز عروضا تسود بها وجوه المجاهدين وسيظل يسجلها التاريخ فى صحائفه السود حتى يلقى أصحابها بها الله يوم القيامة وما زال الوطن الجزع وأبناءه الطامحين يقاسون من جراء هذه العروض وهذه التصريحات لذعات قاسية وجروح دامية وأسواء بالغة، وما تزال أثار هذا الشر تصيب الأبناء فتجرح كرامتهم وتقذى عيونهم وما تزال آثار هذه العروض تعمل فى هذا الوطن عملها وتمكن للانجليز، وما تزال هذه الفئة من الأذناب والأتباع والأنصار تمثل الصدارة فى هذا الوطن رغم أنف أصحابه وتحوطها هاله من الزعامة والجلال، وتتقلب على كراسى الحكم وتتنقل كتنقل قطع الشطرنج حسبما تشاء

المصلحة الانجليزية وكيفما تقتضى وهم قد أسلموا أنفسهم منذ اليوم الأول لدار الحماية ثم لدار المندوب ثم لدار السفير ، وأصبحوا عبيداً لأوامرها التى تلبس ثوب (النصائح) والتى لها من الهيبة والأثر ما تضيع أمامها حقوق الوطن وكرامة الشعب

وإنى أعتقد مخلصاً عن دراســـة عميقة وبحث دقيق ، أنه لافارق مطلقا بين الاحتلال قبل الثورة وبعد الثورة بالرغم من هذه المظاهر التى يسمونها استقلال وبرلمان ودستور فقد كان الاحتلال سافراً يبدو فى عطرسة كرومر وأمثاله فأصبح بعد تصريح ٢٨ فبراير محتجبا وراء هؤلاء الزعماء الذين فرضوا أنفسهم على الوطن وتكلموا باسمه والذين فشلوا فشلا زريعا فى الاستجابة لندائه والحصول على حقوقه ، فقد بدأوا صلتهم بانجلترا بأسلوب رخو ضعيف فقتلوا روح الثورة وحطموا صرح مجدها وأطفأوا نارها وأحالوا دماء الشهداء ترابا وهشيما تزروه الرياح وكذلك فعلوا بالاشتراك مع الانجليز فى ثورته سنة ١٩٣٥ وفى ثورته سنة ١٩٤٦ .

فقد كانت تنتهى هذه الحركات القوية الصادقة المفعمة بالايمان والحماس والقوة إلى همود وإخماد بتصريحات مسكنه وأساليب مخدرة ومطاولة خادعة ووعود براقة . .

وإن كان التاريخ كتب لهذه الثورة سنة ١٩١٩ صحيفة مجد وفخار ودليل عزة وقوة فأنه سجل الخزى والعار على الزعماء الذين قاموا على أثرها لجعلو التفاهم مع الانجليز وسيلة إلى تحقيق المطالب وانتهى التفاهم إلى المساومة وإلى المطاولة ، ومضت السنين الطويلة ، والاستعمار جاثم على قلب الوطن والاحتلال مستمر ، والانجليز ينفذون ارادتهم بأيدينا ويستعبدوننا برضانا ويقتلون شبابنا برصاصنا .

رفعت الثورة الحماية ولكنها غلفت الاحتلال وجعلت حبله بأيدينا ولونته بصورة تركيزية عجيبة وصنعت له زعماء ما زالوا يقبلون الحكم فى ظله إلى اليوم

والعجيب أن اختيار هؤلاء الزعماء كان عجيباً والقواعد التى أقيمت عليها هذه الزعامة كانت أعجب .

فقد كان فى إعقاب الثورة زعماء الحزب الوطنى ودعاته ، وكانوا هم أصحاب اليد الطولى فى تأجيج الحماسة فى القلوب وايقاظ الوطنية فى النفوس ، وتذكير الشعب بآماله وأمانيه وحريته وكرامته ، وقد وضعوا خطة واضحة صريحة لا لبس فيها ولا غموض هى الجلاء وحرصوا على أن لاتكون هناك معاهدة إلا بعد الجلاء ووحدة وادى النيل ، وأن كل معاهدة أو مفاوضة فى ظل الحراب الانجليزية وجيش الاحتلال باطلة لأنها تفرض على المزل رغم أنوفهم .

فلماذا أقصى هؤلاء عن الميدان يوم جاء وقت المطالب والظفر بالحقوق ولماذا اختيرت هذه الفئة الجديدة من أنصار حزب الأمة الذى صنعه كرومر ورفع أقدار أعضائه ، ولماذا اختير بالذات هؤلاء الشيوخ ولماذا أبعد عمر طوسون وفريد والصوفانى وغيرهم . . .

كذلك أراد الانجليز أن يتفاهموا مع من يتمارس معهم ويساوم ويقبل فصل مسألة السودان عن مصر ويرضى ببقاء جيوش الاحتلال حول قناة السويس.. إلى غير ذلك مما ورد على لسنة هؤلاء الزعماء فى أول مقابلة (١)

ومن فتن الاحتلال بعد ذلك إن رفعت أقدار الزعماء رفعا باعدت به بينهم وبين الشعب بالالقاب والمناصب والرتب ، وبالغنى والمال وبالعزة والثروة والترف حتى انفصلوا عن الشعب انفصالا كاملا ، ولم يعودوا يتصلون به ولا يحسون باحساسه وظلوا فى ثرواتهم وترفهم ينعمون بلذائذ المتع ، وطبيعى أن تولد هذه الحالة انفصال تام عن الشعب ، واستهتار به ، وضعف فى فهم نفسيته وجهل بدراسة مشاكله او الاحساس بمشاعر الأمة ، ولذلك احفقت كل حركات النهضة السياسية لأن الزعماء كانوا لا يصدرون فيها عن وحى الشعب ولا يلتمسون فيها روحه ولا عواطفه ، فضلا عن أنهم لم يربطوا بينهم وبين هذا الشعب برابطة الحب .

(١) نصوص هذه المقابلة فى الفصل الأخير من هذا الكتاب

وكذلك دعى هذا الغنى والثراء إلى ما يتبعه من نعمه وترف تقصى صاحبها عن ميدان الجهاد ويحول بينه وبين القدرة على العمل وقيادة الأمة إلى الكفاح والنضال ، فقد عرف الأثرياء دائما بالانكماش والضعف والركود ، ولذلك وقفوا دائما موقف السلب من مطالب الأمة وحقوقها ، وعملوا على تهدئة الخواطر وتخدير الأعصاب ، فضلا عن قتل روح الكفاح ومحاربتها واعتبارها جريمة وشغبا ، وبذلك فقدت الأمة الزعامة المؤمنة القوية الصادقة ، وانتهى هذا الوضع الجديد بزعمائنا إلى الاكتفاء بمبدأ المفاوضة والرضى بسبيل المحادثة والتفاهم لأنه يتفق مع ماهم عليه من رخاوة وضعف ولما تنتهى به النعم المترفة والحياة الناعمة فى أبراج العاج وفى مسرى الكواكب بأصحابها إلى وقزة تقتل الهمم وتشل العزائم ولو ظل هؤلاء الزعماء فى صفوف الشعب لقاسوا مثل ماقاسى ولأحسوا بما أحس ولبقيت لهم روحهم القوية الثائرة وخشونتهم وقدرتهم على احتمال متاعب الجهاد وعوامل الكفاح ، أما الآن فالبون شاسع بين الشعب وبين زعمائه وبين حياة الزعماء المترفة الرخية الناعمة وبين الجهاد الذى يتطلب خشونة وقدرة على احتمال النفى والتشريد والسجن والجوع وما إلى ذلك .

وإن كان كثير من زعمائنا بدأ حياته بلون من هذه الألوان حتى إذا برق اسمه ولمع نجمه وعرف أنه زعيم وادخل الدائرة المرنة للزعماء رضى بها وقبل اوضاعها ومضى فى طريقها وتمتع بالألوان الطيبة التى فرضها هذا الوضع ، وأصبح صورة بالكربون لمن سبقه بالرغم من الخلاف فى السن بين الشيوخ والشباب وبذلك خسر الوطن زعمائه وقادته وشبابه عندما انصرفوا عن الشعب ونظروا اليه من عل

وكذلك مازال الانجليز يعملون على تحطيم معنوية هذا الشعب وقتل روحه فما عرفت الدنيا أشد منهم إجراما فى قتل كرامة الأوطان وعداء الحرية

* * *

وبعد : فان فى القضية الوطنية جانب غامض لم ينكشف بعد لشبابنا العزيز

نريد أن نوضحه له اليوم حتى يكون على بينه من أسرار السياسة العليا التى قامت على أساسها النهضة الجديدة والتى قام على أساسها هذا الوضع الجديد كله من ثورة ١٩١٩ إلى الآن

مراحل هذه القضية تتلخص فى نهضة محمد على ووقوف الانجليز فى وجهه ثم مأساة قناة السويس وما جرت على البلاد من شر وبلاء ، أضيف إليها اسراف اسماعيل وديونه فقد سببا (القناه والديون) تدخل الدول وزحف الانجليز إلى اهدار كرامة الوطن واحتلاله

والمرحلة الثالثة مرحلة عرابى وتوفيق والثورة العرابيةالتى انتهت بالاحتلال الانجليزىالفعلى باسم تثبيت عرش الخديو ، هذه الدعاوة الكاذبة المضللة

أما المرحلةالرابعةفهى نهضة مصطفى كامل والحزب الوطنى واثارها القوية الفعالة وما تلاها من جهاد فريد وأثره فى تقويةالشعور الوطنى الذى انتهى بثورة ١٩١٩

أما المرحلة الخامسة فهى ثورة ١٩١٩ وما تلاها من رفع الحماية التى وضعت ابان الحرب وتصريح ٢٨ فبراير وبدا الحياة النيابية الدستورية التى صنعت الدستور والبرلمان والأحزاب السياسية

وقد انتهت هذه المراحل بيقظة جديدة وفجر جديد وهو نداء الشباب اليقظ الفطن بانهيار الحزبية وهزيمة الأحزاب والايمان بوحدة وادى النيل والجلاء الكامل

وفى ابان هذه الظروف لعبت انجلترا لعبة السودان وشطرت وادى النيل بالاخلاء ثم الفتح ثم اتفاقية سنة ١٨٩١ الباطلة وما بعدها من اخراج الجيش المصرى ١٩٢٤ وما تلاها من سعى انجلترا الحثيث لفصل مصر عن السودان وابتداع فكرة سودنه السودان وما وراءها من اثار خبيثة على الحرية النيلية والوطنية المصرية

وسنرسم هذه المراحل فى هذه المجموعة ونكشفها فى جلاء ووضوح ، ولا نقف بها عند الظواهر التى سردتها كتب التاريخ والأساليب التقليدية التى درجت عليها الصحف وأقلام الحزبيين والسياسيين ، وإنما نقصد من ذلك وجه الله وحده خالصا ، لا نخشى انسانا ولا نرهب انجليزا ولا مصريين ، وانما نريد أن يعرف

الناس ما خفى عنهم هذه السنين الطويلة فانقادوا وعيونهم مغمضة وراء المظاهر البراقه والكلمات الجوفاء حتى انكشف لهم أخيرا أن هؤلاء مبطلون وأن غايتهم أنفسهم وثرواتهم ومناصبهم ، وأن إحقادهم وعداواتهم ورغبتهم فى الانتقام من بعضهم ، أكبر من إحقادهم وعدائهم للانجليز وياويل هذا الوطن من الذين صرفتهم أنفسهم عن وطنهم والذين كاد بعضهم لبعض بدلا من أن يتجمعوا على الدخيل الغاصب ويفسدوا عليه خططه ويفلون حده .

وما ينبغى من هذه الصيحة إلا أن يعرف الناس أنه قد آن الأوان لأن يفهم الشعب حقوقه ويعلنها ويتمسك بها قويا حريصا ، لا يهاب ولا يخاف ولا يتراجع ، ويطالب بها دون أن يعتمد على هذه الحفنة من الزعماء ، كما أنه يعلن نبذه لهم وكفره بهم ، ويسحب ثقته منهم ومن الأحزاب المنهارة التى أقاموها ومزقوا بها وحدة الأمة ولم يجنى منهم الوطن أى خير حتى لقد كان مشروع ملنر الذى رفضته الأمة خير لها من معاهدة سنة ١٩٣٦ بل ومن مشروع معاهدة سنة ١٩٤٦ أيضا .

وما نبغى من هذه الصيحة إلا أن نقول للانجليز فى عزم واصرار ، وفى مداومة وعلانية وفى كل مناسبة وبغير مناسبة ، وعندما يشرق الصباح وعندما يأتى المساء .

اخرجوا من بلادنا

أخرجوا من بلادنا ...

هذه كلمة اليوم وصيحة اليوم ننادى بها ونعلنها ونحرص عليها ولا نقبل سواها .

اخرجوا من بلادنا فقد اقتحمتوها بغير حق وقد وعدتم ألف وعد بالجلاء ولم تنفذوا منه وعداً واحداً .

اخرجوا من بلادنا كما دخلتم فلا مساومة فى هذا الحق ولا فى هذه الحرية

اخرجوا من بلادنا فقد تركتم فى صدورنا جروحا لا تندمل وفى أكبادنا آثاراً لا تمحوها الأيام ونحن لا نحمل لكم فى صدورنا الا الكراهية والمقت .

اخرجوا من بلادنا فنحن أصحابها الأعزة الأحرار أبناء الكماة الأشاوشة المغاوير ، أبناء الاسلام الذين حفروا مجدهم على صحائف التاريخ .

اخرجوا من بلادنا فلا معاهدة ولا محالفة ولا صداقة بيننا وبينكم تحت سلطان الحراب والأساطيل والجيش المحتل .

اخرجوا من بلادنا فقد قتلتم كرامتنا وثلمتم عزتنا ومزقتم وحدتنا واصطنعتم لأنفسكم من رقاق الوطنية والدين أنصاراً وأعوانا لكم على أوطانهم .

اخرجوا من بلادنا فاننا أهل لحكمها والسلطان عليها وحمايتها والذود عن حياضها والدفاع عن حدودها وقناتها وما عهدنا فى البطولة الحربية ببعيد .

اخرجوا من بلادنا فنيلنا لا يتجزأ ، ووحدتنا لا تتمزق ، ونحن والسودان لا نتفرق ، جمعتنا رابطة اللغة وجامعة الدين ووحدة الطبيعة النيلية وعوامل الجو والاقتصاد والجغرافيا .

اخرجوا من بلادنا فقد كنتم دائما حربا للغزه والوطنية والكرامة والرجولة والاسلام .

اخرجوا من بلادنا فلم تعد تخدعنا الوعود ولا الكلمات الناعمة ولا الألفاظ المعسولة .

اخرجوا من بلادنا فقد استيقظنا ولم يعد هناك مفر من خروجكم لأننا سنجاهدكم بكل شيء وسنقدم أرواحنا وأموالنا ودمائنا فداء لحرية الوطن وكرامته وعزته .

اخرجوا من بلادنا فان شعور الشعب نحوكم هو شعور الكراهة والاستفزاز والبغض والخصومه ، ولو ترك لهذا الشعور حريته لأعلن عن نفسه ودوى فى جنبات الدنيا بصوت الرعد .

وانه يعلن اليوم هذا الشعور واضحا صريحا لا يخشى رصاصكم ولا دباباتكم ولا يرهب بطشكم ، ولكنه لن يكون ثورة هوجاء وانما سيكون عملا صامتا متصلا .

انكم تعرفون أن مصر ناقمة عليكم نقمة بالغة وإن لم تكونوا تعلموا ذلك فاعلموه واعلموا أيضا أن الشعور الوطنى قد وضح وتحدد واتضح ، وأن الوعى الوطنى قد تكامل وبلغ أقصى درجات القوة والحيوية وهو اليوم أخطر ما يكون أثره لو انفجر بركانه وثارت ثائرته .

وسوف يكون لهذا الضغط ولهذا الاعراض عن تقديره بميزان علماء النفس أبلغ أثر فى المضاعفات التى قد تحدث فيما بعد .

وقد اجتمعت كلمة الشعب ولن يرده شيء عن ايمانه بقضيته وعدالة حقه وطلب حريته والوصول الى عزته .

ولن يكون هذا الانفجار ثورة فلسنا بأغبياء حتى ندفع شبابنا لرصاصكم يحصده وانما سيكون هذا الانفجار حربا منظمه مرتبه لها قيادتها وأساليبها تنتظمها مقاطعه للعلائق فلا تبقى طبقه من طبقات الأمه لا تشملها هذه المقاطعه ولا تستجيب لهذه الخصومه العلنيه وسيكون لنا من آثار الخصومه الانجليزية وحربها الدائمه لحريتنا وقوداً يزيدها ضراما .

وسوف تقود هذه الحملة أيد قوية مؤمنة ، ومن ورائها قلوب صادقة الايمان بالحرية كبيرة الأمل فى الله ، لاتهدأ ولا تلين ، ولا تخاف ولا تتراجع

ولن يزيدها العدوان الاصلابة ولن يردها النكال عما آمنت به ، بل يزيدها قوة ومضاءا وعزما

ستكون خصومه اليوم قوية لاتتراجع ، عاقله لاتتهور ، ثابته لا تتزعزع ، مؤمنة لاتهن ، وسيعرف الانجليز يوما عاقبة ماجنت أيديهم ، وسيعرفون أن فى هذا الوطن أسوداً يلبسون ثياب الرجال ،لايهابون الموت ولا يخشون الناس ، يؤمنون بحقوقهم ويتمسكون بها ويجاهدون فى سبيلها ولا يتراجعون عنها وسيملأون الدنيا كلها دويا ورعداً ، وسيقولونها صريحة واضحة لا لبس فيها ولا غموض

أخرجوا من بلادنا ...

فهى أوطاننا الحرة الأبية التى لاتركن إلى ضيم أبداً ولا تقبل الذل ، وهى ليست محط الافاقين من ظلمة الاستعمار وغاصى الحريات

وسيقولونها لاعن مصر وحدها ولالوادى النيل،وإنما لكل الأقطار الاسلاميه من الدار البيضاء إلى اندونسيا

* * *

إننا نرى اليوم طريقين لاثالث لهما :

طريق الشعب ، هذا الذى يستيقظ ويحس ويفزع من ذل الأسر وظلم القيد ، فيزحف ويقوى وينشط ويعرف حقيقته وحقوقه ويؤمن بها ويستعد للكفاح عنها والنضال فى سبيلها واحتمال كل مشقه للوصول إليها ، وقد دبت فيه الحماسه كما تدب النار فى القصباء فتشتعل وتستحفل وهو لن يتراجع أبداً ولن يذل أبداً

وطريق الزعماء ، وهو على مانرى الآن من انصراف إلى الحياة الرضية الناعمة المترفة المحاطة بالأضواء والزخارف ،وهى حياة تقسم الظهور وتقتل القوى وتشل العزائم وتحول دون الكفاح والجهاد والنضال

وكلا الطريقين يمتد ويبعد فلا يلتقيان أبدا ، فلا الزعماء يستجيبون للشعب ولايقاسون لوعاته وآلامه ، ولا يحسبون حساب صيحته وعزمته وإيمانه ، بل يتعالون عنه إلى أبراجهم العاجيه وحياتهم الرخية ،ولا الشعب نفسه قد أبقى على ثقه فيهم فقد أنتزعها وكفر بهم وبأحزابهم وسخر من تنابذهم وتناكرهم وخصومتهم

التى رضى بها الدخيل وأعانه على بقائها واستفحالها وعرف أنهم مساومون يصادقون العدو الذى يحطم كرامة الوطن ويرضون بفتات الموائد ويستجدون الحقوق الواضحة الكاملة الصريحه ، حقوق حرية الوطن وكرامته وعزته ويرضون بالاسر والذل والقيد والعبودية مادامت تمكن لهم فى الأرض وتحشد لهم فى أسباب السلطان

والشعب الذى كفر بهؤلاء الزعماء قد أعلن خصومته للانجليز واضحه ولمن والاهم وسار فى طريقهم ورضى بأن يكون ذنبا لهم فاذا أصر هؤلاء على بقاء الانجليز قال لهم الشعب

وأنتم أيضا أخرجوا معهم

أنور الجندى

مفتتح العام . . . .
ومشرق الهجرة

« قلت للرجل الواقف على باب العام أعطنى نوراً أستضىء به فى ظلمات الخطوب، وعلى مشقة الجهاد ، وفى كفاح الظلمة الغاصبين من الانجليز . . . »

فقال . . . ضع يدك فى يد الله ينصرك ويهديك إلى سواء السبيل

اليوم استعداد وغد جهاد

إن قضية الفكرة الاسلامية تتطلب منا أن نعني بالآثار السوداء التي أصابت (العالم الاسلامى) آثار الاستعمار الانجليزى والفرنسى وما سواه من بوادر الشيوعية وغيرها ، فإن هذه الصور من الاحتلال والاستعمار والوصاية والانتداب لا يقصد بها فى الواقع إلا هدم معالم الاسلام فى هذا الشرق الحبيب ، حتى يعود إلى جاهلية حمقاء. ومن عوامل هذا الهدم ايجاد أنفس ملتويه مطموسه البصائر تفهم الحياة فهما استعماريا صرفا ، فتتحلل إخلاقيا وتنصرف إلى اللهو والترف والشر فتتنكر للخير والبر والصدق وتؤمن بما ضدها من أساليب الطغاه وأخلاقهم فترتضى الظلم والعسف وتموت لديهم الضمائر والكرامه ، فإذا وجد هذا الصنف فقد استقر الاستعمار فى الوطن الاسلامى وتمكن وانطوت صفحه الاسلام وضاعت معالمه .

وكذلك نرى فى مصر والشرق إن هذه الطبقه قد وجدت بالفعل وأن منها من يعمل لحساب المستعمر والغاصب والمحتل كانشط أبنائهم وأعظم زعمائهم وسوف تعرف الدنيا كلها مصير هؤلاء يوم تعتدل موازين الأمور وتصل الحقوق إلى ايدى أصحابها .

وبالمقارنه بين أعوام الاحتلال الاولى فى مصر وبين هذه الأيام نجد أن المستعمرين أنفسهم مقتنعون فى دخيلتهم بأن هذا الشعب لن يصبر على الظلم ولن يرضى الانقياد فى أصفاد الهوان ، وأن عوامل الثورة والتمرد والانفجار تلوح فى معالمه ، وأن الاستعمار لم يعد سلطة غاشمه وسطوة جبارة ولكنه أصبح لونا من التحايل وأسلوبا من التآمر وطريقا من الخداع يلبس صورة من الألفاظ المضللة ويرى إلى قتل روح الثورات فى ضمير الشعب اليقظ ، وتخدير أعصابه وتهبيط حماسه ومهاجمه الحركات الوطنيه من الخلف لا من الامام ومن وراء ستار لا علانيه وبمخالب هذه الطبقه الظالمه لا بأيدى المحتلين بأنفسهم .

ولكن مصر والشعوب الاسلاميه التى تقاسى هذا اللون سواء بسواء قد تقدمت مرة أخرى فلم تعد تؤمن بهذه الوعود بعد أن انخدعت بها ربع قرن وبين الحربين ـ ولم تعد تقبل الانتظار والمهادنة وقد عرفت أن أساليب المظاهرات والثورات لا تنتهى إلا بقذف هذا الشباب الطاهر بالرصاص ، فليس إلى إهدار هذه الارواح الغاليه من سبيل وإنما السبيل لكسب الاستقلال ونيل الحرية واسترجاع الكرامه والعزة لها وسائل تتجمع لها الأمه ويتوحد لها الشعب وتموت فيها عوامل الفرقة والخصومة الداخلية ،تظهر فيها قوة الوطن وحيويته وتبدو فيها الأمة صفا واحدا تعمل ولا تتكلم ، تقاطع فى صمت وصبر وإيمان وتصميم لايهزها تهديد ولا يردها وعيد ، وما عليها من بأس أن تنصرف عن كمالياتها وقتا تعيد به حقها كاملا ، وتفرض به نفسها فى عالم الحرية والسيادة

وانا مؤمنون بأن النصر لنا ، وأن العالم الاسلامى كله سيقف وقفه مصممه فى وجه الظلم وسيصرخ ـ فى القريب ـ صرخه واحدة فى وجه الطغيان وسيأخذ حقه كاملا غير منقوص .

— ٢ —

نزعت مصر ثقتها من الأفراد وكفرت بعبادة الأصنام وتجمعت تحت لواء الوطنيه والوعى الكامل تطالب بحقوقها بعد أن فهمتها ودرستها وآمنت بها .

وقد نصح الشعب والحمدلله وفهم ماضيه وحاضره وعرف غايته وهدفه وآمن بهذه الغاية واتخذلها الوسيلة الصادقه القويه فهو لايخاف ولايهاب ولا يخشى أى شر يراد به جزاء على مطالبته بحقه ، وهو فى سبيل الله قائم لا عن رغبة ولا خوفا من رهبه . يدافع عن حقه دفاع الأبطال ويناضل عن كيانه نضال الرجال وقد وضحت الغاية فكان بيانها ما نادى به الشباب يوم ٢١ فبراير سنة ١٩٤٦ .

وطن واحد ، نيل واحد ، لا حزبية بعد اليوم

وقد صدقت مصر يوم دوت بهذا النداء فان هؤلاء الزعماء من التابعين لركب الاحتلال قد صنعهم الأنجليز بأيديهم ورفعوهم من الحضيض إلى عليا المراكز وكبرى المناصب فأحاطوا أنفسهم بالمال والترف والرفاهية وتهالكوا عليها وقد تهم حدتها فلم يعد هناك أى أمل فيهم لقيادة الأمة إلى جهاد أو نضال أو وقوف فى وجه الغاصبين

وكيف يقفون فى وجوههم وهم الذين صنعوهم بأيديهم واشتروهم بمال الوطن فأصبحوا عبيداً أذلاء، ورقيقا ضعفاء، يقدمون منهم من يريدون ويؤخرون من يشاءون حسبما تقتضى المصلحة الانجليزية الخالصة.

ومحال بعد ذلك أن يتحرر أحد من هؤلاء من هذه القيود التى كبله بها المال ومطامعه والمنصب وجلاله والترف وعقابيله.

والعجيب أن هذه الدائرة لها قيود وأوضاع فلا يسمح لغير هؤلاء النفر بتولى مناصب الحكم ويحرم على غيرهم من الدعاة والوطنين والمجاهدين أن يسمع صوتهم أو توكل إليهم مقاليد العمل الأمن ارتضى أن ينهج هذا النهج التقليدى المعروف ويقبل هذا الوضع المرسوم.

ومن هذا يعلم الشباب أن هذه الزعامة التى ينطوى لواثها اليوم، والتى قامت منذ سنة ١٩٢٠ — ١٩٤٥ زعامة فاشلة لم تقف يوما واحداً أمام الانجليز موقف الرجولة أو القوة أو العزم ولو وقفت لعرف لها قدرها ولردت أيدى الأعداء الظالمين عن كثير من أساليب الاغتصاب مع هذا الشعب الأبى القوى الذى ظل يعتقد الخير فى زعمائه ويظن أنهم سيحققون ما أخذ به نفسه من نضال فى سبيل حقوقه وكفاح فى سبيل حريته. ولكن اتضح من الأسف البالغ أن النضال كان بين الزعماء وأن الكفاح كان فى سبيل المناصب وأن هؤلاء الزعماء كانوا فى أغلب الأحيان حربا على القضية الوطنية نفسها وأنهم يد الانجليز التى تبطش بالشباب القوى المؤمن الممتلىء حماسا وعزما.

وقد عاش الزعماء هذا الوقت الطويل يقارعون سنان القلم فى خصومه حادة وتنابذ عجيب وانصراف كامل عن الجهاد الحق، وعن الرغبة فى جمع الشمل ورأب الصدع وتناسى المصالح الشخصية والخصومات الفردية والحزازات الخاصة لتستقبل الأمة عهداً مشرقا من الوحدة على الكفاح والجهاد فى سبيل قضية الوطن الكبرى الذى ينعم هؤلاء الزعماء بخيره وفضله.

فلما طال بالشعب الانتظار ولم تتحقق على أيديهم الآمال، وأخفقت أساليبهم ورضوا بالمساومة والتفاهم والاستجداء نبذهم الشعب وكفر بهم

وبرز بذاتيته القوية الحساسة الى الميدان لايخاف فى الحق لومة لائم يجاهد فى قوة وعزمة وفداء .

— ٣ —

إن حقوقنا ثابتة لاتنال بالاستجداء ولا التماس الصدقات . وليس للانجليز فى إحتلال وادى النيل أى وجه شرعى أو أى حق طبيعى وهم الظالمون ونحن أصحاب الحق وهم يفرضون الذل على الوطن ونحن ندعو إلى الحرية فنحن أقوى منهم بحقنا الواضح الصريح ، هذا الحق الذى مانزال نجاهد من أجله منذ نيف وستين عاما ، قاسينا خلالها من الانجليز أسوأ ألوان العنت والارهاق والظلم ، فقد قتلوا بالرصاص شبابنا وأسالوا دمه الطاهر فى الطرقات ، وسجنوا أحرارنا وشردوا المخلصين وكموا الأفواه المؤمنة والأقلام البريئة عن أن تقول كلمة الحق ، كلمة الحرية .

إن انجلترا ظالمة باغية ، وأننا والحمد لله قد وصلنا إلى درجة النضوج وصممنا على الحياة والنضال ولم تعد الكلمات المزخرفة الكاذبة ولا الوعود الخادعة ولا المعاهدات المفروضة بقوة جيش الاحتلال والأسطول وتحت سلطان التهديد والوعيد تصلح معنا ، ولم نعد نخدع بالألفاظ التى تحمل فى ظاهرها البراق غير ما تحمل فى باطنها من معانى الاستعباد والطغيان .

ولسنا فى حاجة مطلقا إلى أن نصادق الانجليز أو نحالفهم إلا إذا وجدنا فى ذلك فائدة عملية تعود على الوطن بالخير ، وليس مفروضا علينا أن نعلق ركبنا بركبهم وإنما علينا أن نعرف الطريق الذى نسلكه على ألا تكون علاقتنا بانجلترا إلا علاقة الند للند ولا يكون لها فى وطننا امتياز خاص ليس لغيرها .

ولنا من خلقنا الاسلامى الكريم الذى لايطغى ولا يستبيد ولا يخدع ولا ينكث ولا يتلون ولا يخلف غنى عن أساليب أوروبا وسياستها المضللة الاستعمارية الظالمة .

— ٤ —

هل قتل الاحتلال غريزة الكفاح فى هذا الشعب اليقظ القوى وهل أثر

تعاون أنصار الانجليز المستورون والظاهرون من المصريين على قبوله والرضى به ؟

هذا ما نقطع بانه لم يكن ، وضده هو الكائن ، فقد كان لهذا الاضطهاد والاحتلال والاستغلال والتدخل أثراً عنيفا مازال يقوى حتى وصل أشده اليوم ، وانقلب بغضا وكراهية بل خصومه وعداء ، واستفاق فى النفوس حب النضال والصراع والصبر على لأواء الجهاد

وإن كان بعض المتشائمين يدهشون كيف تجاهد مصر بغير سلاح وعدوها مدجج به ، فانما نقول لهم إن عدة الجهاد هى الكفاح الدائم ، والايمان الكامل بالحقوق ، والعمل الدائب للوصول إلى الغاية ، وفهم الغاية ، ومعرفة الهدف ، وتقسيم مراحل الطريق ، ومصابرة هذه المراحل وطوى القلب على الكراهة والعداء للاستعمار والاحتلال ، وللانجليز وأذنابهم

ولا تظهر هذه الخصومة فى صورة ثائرة ولا فى مظاهرات وهتافات ، وإنما تسرى فى محيط الحياة قوية ملتهبة

أما هذه الفورة العارمة فسننصرف عنها ، فانها تبدد زاد النفس من البغض والكراهية وتنفس عن المجاهدين بعض مايقاسون ، فيشعرون أنهم قد أدوا عملا ، أو قطعوا مرحلة ولن تكون نهضتنا اليوم نهضة مرتجلة ، ولا خصومتنا خصومة عابرة ، وإنما ستكون كفاحا طويلا مركزا مدعما لاينطوى على قلق ولا سرعة ولا ارتجال ولا نستعجل فيه النتائج

— ٥ —

إن السياسة الوطنية فى أول أيام الاحتلال كانت تقوم على مصارحة قوية وجرأة كبرى وإعلان للخصومة والعداء وكشف للفظائع والخزايا التى يقترفها الانجليز ، وابانه للأمة عن المظالم والاعتداءات وإظهار لآثار الاحتلال فى الأخلاق والأفكار والتجارة والاقتصاد والمجتمع والتعليم ، فضلا عن مواصلة العمل الداخلى بتشجيع المشروعات الاقتصادية والعلمية وإعلان قضية مصر فى الخارج وانتهاز فرص المؤتمرات الدولية للدعاية لها

ولكن ذلك كله قد تبخر بعد تصريح ٢٨ فبراير ، فقد تحولت العلاقة بين

الزعماء والاحتلال علاقة صداقة وتفاهم ومفاوضة ، وانصرف الزعماء عن توجيه الشعب وإعداده للمطالبة بحقه فضلا عن إخفاء حقائق الاحتلال وآثامه بدلا من إعلانها لتكون سنادا للمجاهد ، وانحصرت المسألة فى الوصول إلى كراسى الحكم للزعماء وإلى كراسى البرلمان للانصار وتقلصت الفكرة الوطنية العليا وضاعت معالم الكفاح والجهاد فى سبيل الحرية وحل بدلا منها روح عاصفة من الخصومة والتراشق بالتهم والأسواء فى سبيل الوصول إلى المصالح الشخصية والفردية

وادخلوا فى أذهاننا كذبا وزورا إننا لا نستطيع أن نعيش بدون محالفة مع الانجليز وبغير صداقتهم وفرضوا فينا الضعف وفيهم القوة كأننا لا بد لنا من سناد على أن يكون هذا السناد هو الذئب نفسه الذى ظل يتنمر بمصر ليفترسها مائة سنة كاملة

دعونا من هذه الالفاظ الخادعة والنظريات الباطلة ، دعونا من كلمات المشاركة والتعاون والصداقة والمحالفة فهذه كلمات بائرة لا نفهمها نحن الوطنيون إلا أنها الاستغلال والمساومة على حقوق الوطن ، ولا نرضاها نحن الشباب الجديد ولا نعترف بها ولا نقبل دون الحرية الكاملة ومعاملة الندللند بديلا ولا نقبل أن يكون لانجلترا ولا أى دولة أخرى أى مركز ممتاز فى مصر

إن لنا كيانا وعزما ، ولنا تشريعا حكيا سيكون رائدنا بعد تحقيق أهدافنا الوطنية من جلاء ووحده وسنحقق رسالته

وأن هؤلاء الزعماء سيكتب لهم التاريخ أسود الصفحات لأنهم حولوا قضيتنا قضية الحرية الحمراء ، من ميدان الجهاد والكفاح والنضال والخصومة والمقاطعة والحق الواضح البين على طريقه مصطفى وفريد إلى ميدان التفاهم والصداقة والمفاوضة والمشاركة والتعاون التى ترمى إلى المساومة على طريقه سعد وعدلى ومن جاء بعدهما

إنهم لم يكونوا فى ذلك مخلصين للوطن أبداً وإنما كانوا طلاب غنائم ومناصب وجاه على حساب الوطن المسكين والقضية الدامية

ومن الأسف الموجع أنهم أقاموا على انقاض الاشلاء والجرحى ودماء الشهداء صرح مجدهم الفردى فأثروا واستطالوا وكان هذا هو الكسب الوحيد من وراء ثورة ١٩١٩

نحن أبناء الاسلام فى مصر والشرق العربى والعالم الاسلامى لانخضع ولا نستكين وقد علمنا ديننا العزة والقوة وحضنا على الكفاح والنضال ، وفرض علينا المحافظة على العرض والشرف والكرامة ، ونحن الشباب الجديد الذى فقه ووعى لا نؤمن بمذاهب الجيل الماضى العقيم الكهل ، ولا طرائقه وأساليبه فى المطالبة بحقوق الوطن .

ونستطيع أن نقرر فى نزاهة كاملة وصراحة تامة أنه قد فشل فشلا لاحدله وانحرف بالقضية الوطنية عن مجراها الأول ولم يجاهد فى سبيلها جهاد الأبطال ولم يعرض نفسه للموت ولا للسجن ولا للتشريد ، بل خشى الجهاد وانكمش عنه ، وحارب كلمة الجهاد نفسها لأنه موجه للانجليز الأصدقاء الشرفاء المعقولون ، الذين يجب ألا توجه إليهم جملة أو إشارة .

واكتفى هذا الجيل بالرى والشبع وعكف على اللهو والترف ورضى من الانجليز بكلمات الصدقة والمودة واستجاب لهم استجابة كاملة فلم يرفض لهم رغبة ولم يقف فى وجه أمر أرادوه .

أما نحن فلا نؤمن بهذه الأساليب الضعيفة التى يسمونها دبلوماسية وكياسة ولباقة مادمت تنطوى على المكر والخداع والكيد للوطن وحريته وانما نؤمن بالخصومة والجهادحتى ننال حقوقنا ، ونؤمن بالصراحة والمكاشفة حتى تنجلى الغمة .

إننا نكره انجلترا ونخاصمها ، فقد كانت معنا خلال هذه الفترة المظلمة السوداء من تاريخ الوطن خداعة ماكرة ، ظالمة قاسية ، وهل نسينا آثامها فى حقوق فريد ونفيه ودنشواى وتقتيل المصريين الآمنين وما سفكت من دماء فى ثورات ١٩١٩ ، ١٩٣٥ ، ١٩٤٦ ، إننا لا نحمل لها فى قلوبنا الا صورة من صور العسف والطغيان والاستبداد ، تريد بذلك أن تبقى مصر مستعمرة لها أبد الدهر ، وقد خدعت زعماءنا عن أنفسهم مرة بأن أفسحت لهم مجال الثراء والمناصب والألقاب وعن وطنهم مرة بأن تدرجت بهم من الجهاد الى المفاوضة ومن الخصومة الى الصداقة ومن النضال والمقاطعة الى اللين والمجاملة ، وتورط

زعمائنا فى ذلك حتى أصبح بعضهم خصوما لأوطانهم ، خصوماً للمجاهدين وللطامحين ، وللراغبين فى الكفاح حرصا على رضاء الانجليز وخوفا على مزاجهم الرقيق .

والعجيب أننا لم نر من زعمائنا من قاطع الحكم إذا دعى إليه ، ولم نر منهم من فرض إرادته وصمم على رأيه ووقف وقفة نضال عن حق أو استمساك بمطلب ، بل كانوا دائما ضعافا يسلمون لأول تهديد ويذعنون خوف الوعيد ويحرصون على كراسى الحكم وعلى الوصول إليها فيما بعد أكثر مما يحرصون على حقوق الوطن . فلا (يتورطون !) أبدا فى تصريح ثائر أو يدعون الأمة إلى جهاد .

— ٧ —

قتلت انجلترا ثورة سنة ١٩١٩ حين قذفت هذا الوطن المسكين بالنظام الجديد ، نظام الحكم والبرلمان والدستور والمعاهدات والمفاوضات قبل أن تجلو عن وادى النيل ، كان هذا طعنه من الطعنات النجلاء الجبارة التى لاحد لاثارها السوء ، ويكفى أننا منذ تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ إلى الآن ونحن لم ننتقل إلى الأمام خطوه واحدة وأن معاهدة ١٩٣٦ أقل بكثير من مشروع ملنر الذى رفضناه سنة ١٩٢٢ وأن مشروع (صدقى - بيفن) ١٩٤٦ رجعه إلى الحماية فى أبشع صورها ، كان مصر قدقضت هذه الأعوام الطوال فى أغوار الكهوف ، وكان الحركة الوطنية اليقظة والشعور الملتهب الذى ازداد مع الأيام والأحوال والضغط قوة وحده لاقيمة له فى نظر إنجلترا ولا تقدير له فى نظر زعماء مصر

لقد كممت انجلترا حرية الرأى والكتابة والاجتماع طويلا ، وعملت باسم الحاكم المصرى للقضاء على كل حركة باسم المحافظة على الأمن العام ، وضربت على أيدى الأحرار والوطنيين وشردتهم وسجنتهم حتى لا تقوم صيحة مدوية تزعجها أو تنال منها أو تقود الشعب الذى يقاسى الكبت والضغط إلى انفجار مروع

ولكن الوطن المؤمن بقضيته وحقوقه لاينهزم أمام هذه الأغلال بل يحطمها وينمو ويزداد

ولقد رضى زعماء مصر من الانجليز مبدأ المفاوضة والتفاهم ، وما المفاوضة فى نظر الانجليز إلا تجارة وماالوطن فى هذه المفاوضات إلا صفقة تباع وتشترى وعلى البائع أن يماطل وعلى المشترى أن يزيد فى الثمن وأن يقدم عروضاً مختلفة

وماكان الوطن أبداً فى نظر الأحرار العقلاء موضع مساومة ، ولامحل مناورة وماكانت حقوقه إلا الحرية الكاملة والسيادة الكاملة والعزة الكاملة وكل ما سوى ذلك نفاق واستعباد وغدر وخداع يلبس صورة براقة وكل من يرضى للوطن بغير هذه السيادة الكاملة والوحدة الشاملة فهو خائن آثم فى حق وطنه .

— ٨ —

والعجيب أن يفرض على الأمة مشروع كمشروع (صدقى - بيفن) فى الوقت الذى وصلت فيه الروح الوطنية أوج القوة وفى الوقت الذى وصلت انجلترا فيه إلى أبعد حدود الضعف ، وقد كانت انجلترا بعد الحرب الأولى قد خرجت ظافرة منتصرة فكانت تنظر إلينا نظرتها إلى العبيد والأذلاء ، أما الآن فانتصارها وهم باطل فهى مفلسة ضعيفة مرتبكة ، مدينة بديون ضخمة مفزعة ، ومايزال يلاحقها شبح الجوع والعطل والفقر ولولا معونة أمريكا لكان حالها أسوأ من ذلك وأشد .

وقد كان نظامها الرأسمالى والاستعمارى وطيد ثابت ، أما الآن فالشيوعية الروسية تحاول هدمه وتحطيمه فهى تخشاها وتسهر لها ، وهذه فرصة من الممكن انتهازها لأن من مصلحة انجلترا أن توطد العلاقات وتحسنها بينها وبين دول الشرق الأوسط حتى تجعل من ذلك سوراً دون وباء الشيوعية الهادم لها .

وقد كانت مصر أيضا منعزلة عن دول الشرق العربى بعد الحرب الأولى وكانت الدول العربية متفرقة ضعيفة تستفيق من عهد مظلم ، هو عهد الأتراك ، أما اليوم فالدول العربية قوية متماسكة يجمعها رباط الجامعة العربية ولها كلمة مسموعة وصوت مدوى .

وقد كانت ثورتنا (١٩١٩) مرتجلة وقد استطاع الانجليز أن يطفئوها باقامة أوضاع جديده بزعماء جدد ، يصبحون هم أنفسهم حربا على حرية الوطن ويعملون على تكميم الأفواه وقد فرقهم هذا الوضع الجديد ومزقهم فاختلفوا وفرقوا الأمة معهم .

أما اليوم فالشعب هو الذى يقود نفسه ويقود الزعماء لأنه أقوى عوداً منهم على الجهاد وأكبر إيمانا ، بعد أن فهم مدى ما أساء هؤلاء الزعماء لقضية الوطن وبعد أن حملته الأيام والأحداث الأحقاد البالغة والكراهية والعداء للغاصب وأذنابه .

كل هذه عوامل يمتنع معها فرض معاهدة على الأمة لا تحقق مطالبها كاملة ، ولن يكون بعد ذلك مفاوضة أو معاهدة فقد صاح الشعب صيحته المدوية .

اضربوا من يهددنا

— ٩ —

إن الجهاد اليوم ليس جهاد المظاهرات ولاالثورات ولاالهتافات والفورات الثائرة التى يخمدهارصاص الانجليز ، وإنما جهادنا اليوم فسيكون جهادا شرعيا سلبيا تبقى فى النفوس معه روح الثورة وقوة العزم وعوامل التصميم وأسباب البغض والكراهة والعداء .

يجب أن نغذى هذه النفوس الظامئة بأحداث التاريخ وصفحات الانجليز الشائنةوآثامهم المتعددةوضرباتهم المسدده لحرية الوطن وعزة أبنائه ، هذه الصفحات المضرجة بالدم والبارزة بجروحها وندوبها ، نذكرها فلا ننساها أبدا ولا تغيب عنا أبداً ، وإنمـــا تظل فى القلب كوقدة الجمر تنفث فى عروقنا الدم قوياً دفاقا والإيمان كاملا ناضجا والذود عن حياض الوطن والجهاد فى سبيل الحق مضيئا مشتعلا فكم للانجليز فى تاريخنا من آثار وشرور ، وكم لهم

فى أنفسنا من صور مريرة مزعجة ، وكم أطلقوا أيديهم فينا وفى بيوتنا وأعراضنا بالإثم والغواية وانتهاك الأعراض .

كل هذه الصور يجب أن تبقى فى القلب حية لا تفنى ولا يذهب أوراها ولا تضيع معالمها ، فلسنا نحن الذين ننسى ما ارتكب فينا من إهانات وإجرام وأن نسينا فلسنا أبناء الوطن البررة الصادقين أبداً .

— ١٠ —

إن كل هذه الصور العجيبة من تاريخ مصر قد اقنعت الشباب الجديد ، الحى القوى المؤمن ، بأن يكفر بصداقة انجلترا ، وأن يعتبرها عدوة لدودة ، لأنها جرحت الكرامة المصرية والأعراض الوطنية ، وهزأت بالرجوله والعزة الممثلة فى شعب وادى النيل وداست تحت أقدامها شعور هذا الشعب وحاولت أن تجعله عبدا ذليلا يدور حول الساقية مكمم الوجه ، مغمض العينين

وقد دعاه هذا أن يكفر أيضا بزعامة هؤلاء الذين اصطنعهم الانجليز فقتلوا روح ثورة ١٩١٩ ورضو بالذل والهوان وقنعوا بالمنافع الضرورية والمصالح الشخصية واكتفوا بالغنى والرى والثراء والسيادة والألقاب على حساب الوطن الذى اختارهم للنضال والجهاد

أن الشعب قد بلغ رشده فلم يعد فى حاجة إلى قيادة هؤلاء ، إنه قد عرف طريقه القويم إلى الحرية والكرامه فطالب بالجلاء الناجز وبوحدة وادى النيل غير مشروطة بشروط ولا مقيدة بقيود ، لا يرضى عنها بديلا ، وسيدافع عنها صادقا مخلصا مضحيا بكل ما يملك فليس للحياة عنده قيمة إذا لم تكن حياة حرة كريمة

وأما حياة تبعث الموت فى البلا وأما ممات لا قيامه بعده

وإن أصر الانجليز على موقفهم الغاصب الظالم فلابد من مقاطعة منظمة نخطو إليها اليوم أولى خطواتنا باعلان (عدم التعاون)

١ ـ اقتصاديا ـ بالاضراب عن شراء كل ما هو انجليزى أو التعامل مع أى شركة انجليزية كائنة ما كانت

٢ - ثقافيا - بمقاطعة المجلات والصحف والكتب الانجليزية والامتناع عن التكلم أو الاستماع إلى اللغة الانجليزية .

٣-اجتماعيا- قطع علائق الصداقات الشخصية والعائلية والانسحاب من عضوية الأندية والهيئات التى تضم العناصر الانجليزية .

٤ -روحيا - الاتجاه إلى الله العلى الكبير مذل الجبارين وقاصم المتكبرين والالحاح عليه فى الدعاء (١).

والله غالب على أمره والعاقبة للصابرين

---

(١) نلجأ إلى الله بالقنوت ليرد عنا كيد هؤلاء الظلمة فى كل صلاة بعد الركوع فى الركعة الأخيرة « اللهم رب العالمين ، وأمان الخائفين ، ومذل المتكبرين وقاصم الجبارين ، تقبل دعائنا وأجب ندائنا ، وآتنا حقنا ، ورد علينا حريتنا واستقلالنا اللهم إن هؤلاء الغاصبين من الانجليز قد احتلوا أرضنا وجحدوا حقنا وطغوا فى البلاد فأكثروا فيها الفساد اللهم فرد عنا كيدهم وفل حدهم ، وفرق جمعهم ، وخذهم ومن ناصرهم أو أعانهم أو هادنهم أو وادهم أخذ عزيز مقتدر — اللهم اجعل الدائرة عليهم وسق الوبال إليهم وأذل دولتهم وأذهب عن أرضك سلطانهم ولا تدع لهم سبيلا على أحد من المؤمنين وصلى اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم »

مصر فى مطلع النهضة

١ — نشأت مملكة وادى النيل منذ أن تنبه لها هذ الرجل الحصيف (محمد على) (١) سنة ١٨٣٠ فأخذ يعمل على إدماج مصر والسودان فى حكومة واحدة فنظم البلاد وحددها الى مديريات واستقرت أوضاعها السياسية والادارية ، وأنشأ عاصمتها الجديدة (الخرطوم) واستتبع ذلك التوغل الى أعالى النيل فأصبحت هذه البلاد جزء من الوطن الذى ينتظمه النيل ويرضعه من منبعه الى مصبه ، ولا غرو فالمصالح الجغرافية والمائية ، والاشتراك فى الحياة على ضفاف النهر كلها تستدعى ارتباط الصلة وانعقاد الروابط وتوثق الوحدة فضلا عن العوامل الأكيدة من وحدة اللغة والدين .

٢ — وإن كان محمد على لم يستطع أن يكمل هذه الوحدة ويدعمها لأنه توسع فى الفتح وصدمته العقبات فى صلته بتركيا ومواقفه من الانجليز والفرنسيين وتنبه العالم العربى الاستعمارى الى خطره ، فان اسماعيل بالرغم من أسرافه واتجاهه نحو الغرب قد عنى عناية كبرى بتوطيد هذه الوحدة ورعايتها وتهيئة جوانبها وتدعيمها .

---

(١) كانت زعامة مصر الشعبية إلى السيد عمر مكرم سنة ١٨٠٥ ، هذه الزعامة المؤمنة التى هدفت إلى تحقيق أسباب العزة والتخلص من الغاصبين وقد جاهد عمر مكرم الغاصبين من المماليك والأمراء ووقف فى وجه الدخلاء وقاد الشعب ضد نابليون ثم اختار محمد على لولاية مصر واختلف معه بعد ذلك على بعض الأمور فاستبد محمد على بالأمر ونفاه وكان أول قرارته فى المؤتمر المصرى العام ١٢ مايو ١٨٠٥ : ألا تفرض ضريبة إلا إذا أقرها العلماء والأعيان

وفى ١٣ مايو ١٨٠٥ خلع عمر مكرم الوالى التركى خرشيد باشا وعين محمد على

وكتب هذا النص الاسلامى القوى (أن للشعوب طبقا لما جرى به العرف ولما تقضى به أحكام الشريعة الاسلامية الحق فى أن يقيموا الولاه ، ولهم أن يعزلوهم إذا انحرفوا عن سنن العدل وساروا بالظلم)

وقد ازعج هذا الشعور الاسلامى نابليون فحاول أن يترضى المسلمين باسلامه ، ثم ظل هذا الشعور يقظا متسلطا حتى جرفته أسباب الاحتلال والرقابة المالية والتدخل الأجنبى وسادت الاخلاق الغربية المنافقة الخادعة وانطوت هذه الصفحة المشرقة إلى حين . . .

٣ — إمتد توطيد هذه الصلة إلى (دارفور) سنة ١٨٧٣ وتم الاستيلاء على أفريقيا الاستوائية ومنابع النيل ، ثم ضمت هرر وبربره سنة ١٨٧٥ ووصلت الحدود المصرية إلى جنوب (غندكرو) وإلى جنوب (فاشوده) وإلى أو غنده وزنجبار وامتد السودان غربا إلى دارفور وشرقا إلى هرر وسواحل البحر الأحمر واتصل ذلك الفتح بسواحل البحر وأصبحت تشمل بحر الغزال والنيل الأبيض وكردفان ودارفور والسودان الشرقى ، ولولا أن الانجليز وقفوا لهذه النهضة بالمرصاد لوصلت الفتوح إلى ساحل المحيط الهندى

٤ — وكذلك ضربنا الانجليز الضربة الأولى فى عهد محمد على فقصوا جناحه وحطموا أسطوله فى نفارين وأوقفوا نشاط هذا الرجل القوى الطامح ، ولكنهم لم يستطيعون القضاء عليه فقد كون الدولة القوية ، وبذر البذور الصالحة وتركها لخلفائه الذين أهملوها حتى انتهوا بها الى ذلك الاحتلال البغيض بأسرافهم وضعفهم ولو قاموا عليها كما ينبغى ونموها وعنوا بها وحرسوها وجعلوا أمر الوطن وحدة هو كل شىء لتم لمصر مكانها القوى المرموق ، مكان الأمة العزيزة القوية . التى تهابها الأمم وتخشاها الدول ، وقــــد عرف هذا الرجل خطر (وحدة وادى النيل) فعمل لها وحاول (اسماعيل) أن يتم هذا المجد وأن يحصن هذه الدولة ، لولا أن اجتاحته الأزمات ومزقت ملكه الديوان وبدد آماله الاسراف .

٥ — ولو أننا وقفنا عند هذا الحد لهان الأمر ، ولو حافظنا على هذه الدولة الموحدة من منبع النيل إلى مصبه لوقفنا فى صفوف الأمم الحرة التى تعيش فى الرأس لا فى الذنب .

٦ — ليس هذا مجال الكلام عن تحطيم جهود محمد على ، وأمبراطوريته الضخمة التى امتدت إلى حدود تركيا ، وحدود جزيرة العرب ، وإلى منابع النيل هذه الأمبراطورية التى أزعجت أوربا بأجمعها ، والتى كانت على وشك الامتداد حتى تصل إلى الدردنيل ، ولولا أن عاجلت أوربا هذا الرجل الفذ فحاكت حوله الدسائس وأوقفت جهاده وحدت من سلطانه وانما مجال ذلك كتابنا (دسائس الاستعمار فى الشرق)

٧ — وغاية ما نريد أن نقرره أن محمد على أنشأ فى مصر دولة خصبة قوية مدعمة بالمصانع والجيش . فذه بالسيادة على منابع النيل ، مطمئنة باستتباب الأمن فى المجتمع تأمينا يكاد يكون بريئا من عوامل البطالة والفقر ، وتوفير طرق الرى وإصلاح الزراعة وإدخال المحصولات الجديدة وتنظيم التصدير وتكوين الأسطول وتسهيل المواصلات وإنشاء المصانع .

٨— وخلاصة القول أن مصر أصبحت فى هذا العصر أولى الدول فى الشرق يقظة وحيوية ، وقد كان فى الامكان أن يضطرد هذا النجاح لو خلف محمد على من يسير على برامجه ونظمه . ولكن الأسف يملأ النفس ويحز فيها عند ما يحدثنا التاريخ أن خلفاؤه قد استسلموا لبعض الأصدقاء من صنائع الاستعمار (كدلسبس) وغيره فزينوا لهم حفر قناة السويس فكانت العامل الأول لهذه الصفحات المظلمة السوداء التى مانزال نقاسى عقابيلها وأثارها إلى اليوم ، هذه الأيام السود التى توالت علينا منذ عهد سعيد ، زادها حلكة وظلمة وسوء ماجره اسماعيل علينا بديونه وبذخة وأسرافه واستهتاره فانتهى بنا إلى مانرى فيما بعد

٩ — وقفت أوربا فى وجه محمد على ، وخاصمته انجلترا بالذات خصومة عنيفة ، ونظرت إلى نهضة مصر نظرة الخوف والوجل ، وحاولت إظهـــار الثغرات فى أعماله محاولة لتأليب الشعب والدول عليه كذلك ، فكانوا يتهمونه بأنه يظلم رعاياه وأنه لن يستطيع النهوض بأعباء الدور الذى يمثله ، لأنه يعمل بمفرده وسر ذلك رغبة انجلترا أن تحتفظ بتركيا فى حالة ضعفها لأن فى انهيارها فتح لأبواب المطامع الروسية والفرنسية وغيرها .

١٠—وكانت انجلترا ترى أن تركيا طريقها إلى الهند وكانت خطتها السياسية تأمين هذا الطريق منذ زمن بعيد ، فكانت هذه السياسة تحمل انجلترا على الوقوف فى وجه التوسع المصرى وأن تنتهز الفرصه لتحتل مصر وفلسطين ثم العراق .

١١— كذلك كان إنشاء المصانع فى مصر مما أزعج انجلترا لأن البضائع التى تخرجها كانت تعطل مايرد من انجلترا، وكان ذلك شلا لأسواقها فى مصر .

١٢ — أخذت انجلترا تتهم محمد على بأنه صنيعه فرنسا وكانت تخشى من صداقته لها وكل هذه الأسباب مجتمعة كانت سبباً فى خصومة انجلترا لمحمد على مما يتبين من الوقائع المتتالية الآتية.

١٣ — استيلاء محمد على على الحجاز والسودان أصار البحر الأحمر بحيرة مصرية فأصبح ذلك سدا فى وجه الانجليز يمنعهم من الزحف على خليج فارس والاستيلاء على الشام وقد أوقف سعيهم فى هذا الوجه .

الاعتداء الانجليزى الاول

(١) حملة فريزر .

كانت محاولات انجلترا الطاغية فى السيطرة على مصر قديمة ومتصلة فقد تنافست مع فرنسا على تحطيم هذا الشرق وتقسيم دولة الرجل المريض وتسابقتا على اغتنام الفرص الدولية والحوادث الجارية لهذا الاحتلال .

وقد ازدادت هذه المحاولات حدة بعد الحملة الفرنسية التى نكصت على إعقابها منهرمة محطمة ، فاتفقت انجلترا مع أحد الآثمين من أذناب الاحتلال فى كل زمان ، (محمد الألفى) على إرسال الأسطول الانجليزى إلى الاسكندرية بقيادة فريزر ، وقد وصل الأسطول وزحفت بعض قواته إلى رشيد واستطاعت رشيد الباسلة وحدها أن تصد الغزاة وأن تتغلب على الجيش الانجليزى تغلبا مشرفا فى ٣١ / ٣ / ١٨٠٧ انتهى بقتل عدد كبير من الجيش الانجليزى ووقع الانجليز وثيقة أكدوا فيها استقلال مصر وحريتها وجلو عن أرضها صاغرين وقد كان الفضل فى هذا النصر للشعب المصرى الأبى الباسل لا لمحمد على نفسه .

(٢) وهذا مضافا إلى ماسبق من جهاد ومقاومة للفرنسيين ، جهاد ومقاومة اضطر إزاءهما نابليون إلى إحترام التقاليد الإسلامية ، ولأن يعترف بأن الروح الإسلامية لها أثرها العميق فى نفوس الناس ، وإنه يجب أن يجارى هذه الروح بمحاولته

إعلان إسلامه لولا أن الحوادث كانت أكبر منه فاضطرته إلى الإنسحاب .
وكانت قيادة الشعب فى ذلك الحين لزعيم إسلامى مؤمن هو السيد عمر مكرم الذى كان جهاده مثالا لقيادة الشعب الأبى حتى يفرض ارادته فينزع الحاكم الظالم و يولى بدلا منه

وحدة وادى النيل

(١) أثبت محمد على بنضوج تفكيره عند ما اقتنع بأن وادى النيل من منبعه إلى مصبه وحدة سياسية واجتماعية لا تتجزأ ولا تنفصل ، يجمعها النيل ويجمعها الإسلام وتجمعها العادات واللغة والتقاليد والجو والجغرافيا ، إلى الحد الذى يعتبر كل انفصال بينهما هلاكا لهما معا

(٢) ولن يستطيع زعيم مهما بلغ من قوة الحجة وسحر البيان أن يقنع الناس بأن هناك بابا لفصل الجنوب عن الشمال إلا إذا استطاع أن يقنع الناس بحياة جسم تنفصل عنه رأسه ،أن مصر والسودان وحدة بالروح والجسد . وهى صلة لا سبيل مطلقا إلى تمزيقها ووحدة لا وسيلة لفصم عراها أو تجاهلها أو محاولة بترها ، وقد أداه ذلك إلى تحقيق هذه الوحدة وتأكيد هذه الصلة وتدعيم هذه الرابطة بمحاولاته فى فتح بربر وسنار سنة ١٨٨٢ واتصل ذلك التدعيم بدارفور والأبيض حتى بلغ عدد القتلى من الجيش المصرى ثلاثة آلاف رجل ، ثم أنشأت أيدى الشمال عاصمة الجنوب (الخرطوم) واضطردت البعثات تعمل على كشف منابع النيل وضمها إلى هذه الدولة القوية

خاتمة محمد على

(١) كانت حركات محمد على ، هذه الحركات العسكرية السريعة المتصلة بين السودان وسوريا والحجاز والمورة مدعاة لاثارة التفات انجلترا المتنمرة المتحفزة والغرب المستعمر الظالم ، وقد أدى ذلك لإرسال سفراء النمسا والروسيا وإنجلترا وفرنسا وبروسيا مذكرتهم المشتركة المعروفة فى ٢٩ يوليو ١٨٣٩ إلى تركيا ، والتى طلبوا فيها أن لا تحل (المسألة المصرية) إلا باشرافهم

(٢) وقد تطورت الحوادث إلى أن عقدت (معاهدة لندن ١٨٥٠) التى أرغمت محمد على تقلص سلطانه من كثير من الأقطار المفتوحة وبقائه فى فلسطين ومصر وسلخ جزيرة العرب وسوريا منه ، فقد خشيت إنجلترا أن يتطور كفاح محمد على إلى إحياء مجد الاسلام وتحقيق مطمحه الأكبر فى إقامة دولة عربية إسلامية وهو الخطر الوحيد الذى تخشاه انجلترا

(٣) وقد رفض محمد على هذه المعاهدة فقامت الحرب بينه وبين الدول وانتهت بأن أصبح محمد على حاكما على مصر وحدها (أى مصر والسودان)

اسماعيل والانباء

(١) على أكتاف اسماعيل تقع تبعة هذا الاحتلال . وهذا الاضطراب السياسى فى مصر جميعاً ، فانه بديونه واسرافه قد فتح الثغرة لهذه الدول ، ولانجلترا بالذات لأن تتدخل فى شئوننا ولأن تجد الفرصة المؤاتية فيما بعد لوضع يدها على هذا الوطن العزيز

(٢) تولى الحكم من (١٨٦٢ - ١٨٧٩) شهدت مصر خلالها ألوانا عجيبة من البذخ والاسراف ، انتهى بهذه البلاد إلى الاضطراب المالى الذى عجل بتسليم البلاد إلى أيدى الأجانب فسيطروا عليها وتدخلوا فى شئونها ، وانتهى أيضا بسقوط اسماعيل ، فضلا عما سجل له التاريخ فى صفحاته من حكم قاس

(٣) دخلت مظاهر الحياة الغربية إلى مصر على يد اسماعيل ، فدخل معها الخراب والذل والنكال والاستعمار ، ومنذ ذلك اليوم ونحن نقاسى هذه الآثار التى ترتب عليها اسراف اسماعيل ، وما جره على الوطن وما أجهد به الأمة وما انتهى اليه أمرها من نضال للاستعمار ، ومن احتمال للظلم ومن معاناه لألوان النكال والاستبداد الذى فرضه الغاصب وتالب فيه الغرب على الشرق

(٤) لايعذر التاريخ اسماعيل أنه كان يرمى إلى جلب الخير لوطنه ، ولو استن سنة محمد على لمضى فى الطريق السليم ، ولكنه آثر طريقا آخرا محفوفا بالشوك والقتاد ، فصبغ لون الحياة فى مصر بالمطامع والشهوات والمغامرات والمجازفات فبدت جريئة لايحوطها الحذر ، مندفعة لا إحكام فيها ، ولقد أسرف اسماعيل فى الولع بالمظاهر الغربية فى هذه الحضارة ونسى المعالم المعنوية ، فجلب الشر كله وأغضى عن الخير جملة ، جلب الزخارف والمتع والمغريات فجلب معها الديون والرقابة المالية والاحتلال

(٥) قضى سعيد وقد استدان أربع ملايين من الجنيهات فوصل بها اسماعيل إلى حد لايتصوره عقل عاقل إذ وصلت سنة ١٨٧٦ قرابة ٩١ مليون

(٦) (كان اسماعيل يحاول ادخال نظم الحضارة ومظاهرها إلى مصر ويعد برنامجا ضخما لذلك، وينفق فى سبيل ذلك الملايين مما يقترضه من يهود أوربا، غافلا عن حاجة الشعب نفسه ومايلزمه من اصلاح، ذلك لأن الشعب والتفكير فى أمره كان أبعد ما يكون عن ذهن اسماعيل فهو يعتقد كما يعتقد اسلافه من الحكام أن مصر مزرعه له وأن الشعب عبيد وخدم)

(٧) قروض اسماعيل

(١) استصدر تصريحا من الاستانة بالأقتراض وعقـــد أول قرض فى ٨ / ٩ / ١٨٦٤ وقدرة ٥و٧٠٤و٢٠٠

(٢) عقد فى ثلاث سنوات ثلاث قروض(١) سنة ١٨٦٥ ٣و٣٨٧و٠٠٠

١٨٦٦ ٣و٠٠٠و٠٠٠

١٨٦٧ ٢و٠٨٠و٠٠٠

(٣) نجح اسماعيل فى عقد قرض جديد لاعداد حفلات افتتاح القناه سنة ١٨٦٨ قيمته، والمتحصل الحقيق (٧و١٩٣و٢٣٤)، ١١و٨٩٠و٠٠٠ مشروطا يتوقف اسماعيل عن الاستدانة لمدة خمس سنوات

(٤) عقد قرضا رهنت فيه أملاكه الخاصة لسدادة فى ١٨٧٠ قيمة، والمبلغ المتحصل (٥و٠٠٠و٠٠٠)، ٧و١٤٢و٨٦٠

(٥) الاستدانة بضريبة المقابلة ١١و٨٠٠و٠٠٠

(٦) اتفق اسماعيل مع بيت (أو بهيم) الذى اصدر قرض سنة ١٨٦٨ أن يصدر قرضا حديدا قيمة ٣٢ مليون جنيه لتوحيد الديون وبلغ ماحصل عليه (٢٠و٨٤٠و٠٧٧) ٣٢ / ٠٠٠ / ٠٠٠

(٧) أصدر اسماعيل سندات (الرزنامه) لحصل منها على ٣و٣٣٧و٢١٠

(٨) عرض اسماعيل بيع أسهم مصر فى قنال السويس وأفترتها انجلترا سنة ١٨٧٥ ٣و٩٦٧و٥٨٣

---

(١) القيمة الاسمية لسلف فى ١٨٦٤ ، ١٨٦٦ ، ١٨٦٨ ، ١٨٧٣ = ٢٠٠ و ٥٩٤ و ٥٢ ج والقيمة الفعلية ٤٧٤ و ٤٣٧ و ٣٥ ج

(٨) الآثار المترتبة على ذلك :

(١) بدأ الصراع بين اسماعيل وأوربا سنة ١٧٨٦

(٢) طلب إلى الانجلىز تعيين مستشار للمالية ، فأرسلت له لجنة لفحص الشئون المالية وأشترت أثناء ذلك أسهم مصر فى القناه

(٣) إنتهت اللجنة بتقرير ضرورة توحيد هذه الديون على قاعدة الفائدة ٧ ٪ لها جميعا فأنشأ صندوق الدين من أعضاء الدول الدائنة ، وكانت هذه الخطوة الأولى من خطى التسلىم والخضوع لأوربا ، وبدأ التدخل فى شئون مصر

(٤) أنشأت المحاكم المختلطة

(٥) زادت الحالة سوء بطلب الدائنين تعيين مراقبين أحدهما إنجليزى والآخر فرنسى لمراقبة إيرادات الدولة ومصروفاتها ، فلما تم لها ذلك ، تلاشى سلطان إسماعيل بجوار هذه القوى

(٦) جعل إسماعيل الشعب عبدا مطيعا يستجيب لرغائبه ولا يعرف ما يراد به ، ولذلك كانت الادارة الحكومية تنحدر على طريقة اسماعيل ، والضحية لاسماعيل وحكومته ، هو هذا الشعب المسكين ، الذى ضرب بالكرباج والسوط ، وألقى العدد الكبير من أبنائه الذين لم تسعفهم أحوالهم بالدفع فى السجون ، فضلا عن أن الحكام أنفسهم لم يكونوا مصريين بل كانوا من الأكراد والجركس والأرمن واللبنانيين

(٧) لم يتحرك الشعب للتدخل الأجنبى لأنه كان يرى نفسه محكوما بأجانب أيضا من نوع آخر فاستبدال أجنبى بأجنبى لا قيمة له فى نظره ، فضلا عن أن توالى الهوان على الشعب أثر فى روحه الشابة فأضعفها ومن يهن يسهل الهوان عليه ، ما لجرح بميت أيلام ، وان كانت روح الشعب المؤمن لم تمت ولكنها ضعفت عن أيام (عمر مكرم) الذى كان يفرض فيها الشعب سلطانه على الحاكم الظالم فينزعه ، وبقى الشعب ينتظر له يوما ينفس فيه عن الضغط المكبوت

(٨) انتهى الأمر أخيرا بعقد قرض جديد (قدره ٨ ملايين) سمى قرض (روتشلد) لتسديد الديون السائرة , وعجز الميزانية . وقد نزل اسماعيل عن ٤٤٥ر٧٢٩ فدان ضمانا لهذا القرض

٩ — ألفت وزارة أجنبية (من ولسن وزيراً المالية ودبلنير وزيراً للاشغال برئاسة نوبار) وعملت هذه الوزارة المختلطة لتسديد الديون .

١٠ — انتهت هذه القصة العجيبة بسقوط اسماعيل عن العرش ، فقد عزله سلطان تركيا فى ٢٦ يوليو ١٨٧٩ ونفى إلى ايطاليا .

القناة

« القناة لاتزال باقية كجزء من مصر، يحول دون تحقيق أمانيها التى ضحت كثيرا فى سبيلها »

أحمد شفيق

(١) تم الاتفاق بين سعيد باشا ودلسبس على حفر قناة تصل البحر الأبيض بالبحر الأحمر (١) على أساس أن تكون حرة لجميع السفن دون تمييز ، ولا يجوز للشركة أن تمنح أى فرد أو أى شركة امتيازات ما - (٢) للشركة حق التمتع بها ٩٩ سنة (٣) $\frac{٤}{٥}$ الفعلة الذين عملوا فيها من الفلاحين (بلغوا ٢٠ ألف رجل) (٤) للشركة الحق فى حفر ترعة من النيل إلى القناة وحق إمتلاك الأراضى اللازمة على صفتى القناة وحق استيراد جميع مايلزم من الأدوات من الخارج بدون ضرائب (٥) للحكومة المصرية ١٥ ٪ من صافى أرباح القناة (١)

(٢) اشترت فرنسا ٢٠٧١١١ سهم وبدأ الحفر (٢) فى ٢٥ / ٤ / ١٨٥٩ وانتهى فى سنة ١٨٦٨ - وأرغم سعيد باشا على شراء الاسهم الباقية ٥٨٥٠٦ سهم وعقد لها أول قرض مالى جنبى .

(٣) فقدت مصر ألافا من رجالها الذين عملوا فى الحفر نتيجة الحمى ورداءة الجو والجوع .

---

(١) باعت الحكومة المصريه (حقها فى الاستيلاء على ١٥ ٪ من صافى الأرباح) واشترته شركة فرنسية بمبلغ ٧٠٠ ألف جنيه وقد بلغت قيمة هذا الحق سنة ١٩٢٩ ٢٠ مليون جنيه وهو يربح سنويا ٨٦٩ ألف جنيه

(٢) أول معول ضرب فى القناة كان معولا فى استقلال مصر وحريتها

(٤) بقيت الأجور فى جيوب المتعهدين ، ولم تصل العمال فكانت القناة (سخرة) (١) .

(٥) طول القناة ١٦٨ كيلو تجتازها البواخر فى ١٦ ساعة .

(٦) القواعد الدولية التى تحكم قناة السويس مستمدة من اتفاق القسطنطينية سنة ١٨٨٨ بين الدول (انجلترا - فرنسا - ألمانيا - هولندا - ايطاليا - أسبانيا - تركيا - روسيا - النمسا) وتقضى هذه المعاهدة بأن تبقى القناة مفتوحة فى السلم والحرب لجميع السفن التجارية والحربية .

(٧) وقع سعيد فى ٣٠ / ١١ / ١٨٥٤ الأمر الذى تم بمقتضاه منح دسلبس امتياز حفر القناة على أنه مشروع عمومى ، ورسوم المرور بالقناه وحقوق المرور فيها واحدة بالنسبة لجميع الدول فلا يجوز منح أى تفضيل أو امتياز القناة - ترعة بين البحر الأبيض والأحمر - عمقها ٨ أمتار تكفى لمرور السفن الكبرى (حمولة ٣ آلاف طن) وقدرت النفقات العمومية ١٨٥ مليون فرنك ومتوسط المدة ٦ سنوات والايرادات الناتجة بعد حفر القناة ٣٠ مليون فرنك

(٨) أبدت فرنسا المشروع وعارضته انجلترا معارضة تامة وناهضته وحملت عليه الصحف الانجليزية وسعى دسلبس لاقناعها (٢) .

(٩) قسمت أرباح الشركة ١٥ فى المائة للحكومة المصرية ، ١٠ فى المائة للمؤسسين ، ٣ فى المائة للديرية ، ٢ فى المائة لتكوين رأسمال فى فتح معاش المتقاعدين ، ٧٠ فى المائة تقسم بين الأسهم المستهلكة وغير المستهلكة على السواء

---

(١) اشتغل بالقناة ١٢ ألف عامل فيما بين القنطرة وبور سعيد و ٩ آلاف عامل آخرين فى الاعمال الاخرى كحفر الترعة العذبة وقد قاسى العمال فيها ألوانا من الجور والخسف والعنت والارهاق الى حد أنهم كانوا يضربون بالكرابيج ولا يقبضون عن عملهم أجراً وقد كانت هذه الطوائف من العمال تغير كل ثلاثة أشهر

(٢) حاولت انجلترا أن تحول دون تنفيذ هذا المشروع لذى كانت فرنسا صاحبة اقتراحه فلما تحقق حاولت انجلترا الاستيلاء على أكبر حصة من الاسهم وألبت الدائنين وأثارت هذه الثورة العجيبة التي زعزعت عرش اسماعيل وفرضت سلطان الدول على مصر وماليتها فلما جاءت حركة عرابى تذرعت بها واحتلت مصر

(١٠) قدر رأس مال الشركة ٢٠٠ مليون فرنك مقسما الى ٤٠٠ ألف سهم ثمن كل سهم ٥٠٠ فرنك وقد أكتتب سعيد باشا فى ١٧٧٦٤٢ و سهم باسم مصر .

(١١) كان العمال يفدون من كل صقع للعمل بالقناة ـ وقبلت الشركة عدم قبول عمال أوربيين لا بنسبة $\frac{1}{5}$

(١٢) فكر اسماعيل بعد تولية العرش فى حمل الشركة على التنحى عن المشروع ليكون له فخر انشاء القناة ولتعود نتائجها على مصر وحدها ، وعمل على رفع القيود الملزمة لها فى الامتياز وعارض فى المواد الآتية (١) الزام الحكومة المصرية بتقديم العمال $\frac{3}{4}$ (٢) ملكية الشركة لترعة المياه العذبة وحق الشركة فى رى الأراضى المملوكة (٣) ملكية الشركة للأراضى الغير مملوكة لأحد (٤) سيطرة الشركة المطلقة على قناة السويس وحق تصرفها دون غيرها فى اقامة المبانى التى تريدها وانفراد الشركة بالنظر فى شئون العمل ومنعها للحكومة المصرية من إقامة الحصون على ضفافها .

(١٣) وسعى اسماعيل لاعادة الأراضى التى تنازل عنها للحكومة ووضع يد الحكومة على الترعة النيلية والغاء الشرط الذى يحتم على مصر تقديم العمال من طرفها الى الشركة ـ فاذا لم يمكن ذلك يخفض عددهم من ٢٠ ألفا الى ٦ آلاف مع رفع أجورهم .

(١٤) صدر حكم امبراطور فرنسا فى ٩ / ٧ / ١٨٦٤ باعاده ٦ آلاف فدان من الأراضى المتنازل للشركة إلى الحكومة ، وإعادة جميع الأراضى التى باشرت الشركة فلاحتها وزرعها (٦٣ ألف هكتار) إلى الحكومه مصر وتخلى الشركة عن كل حق فى مد الترعة النيلية من القاهرة إلى السويس إلى بور سعيد والزام الحكومة بدها ، وهى الترعة المعروفة بالترعة الاسماعيلية ـ وأبطال حق الشركة فى مطالبة الحكومة بالعمال إلا على سبيل العارية المأجورة ـ على أن تدفع الحكومة على سبيل التعويض مبلغ ٨٤٠٠٠٠٠٠ فرنك وقداستعملت

الشركة الالآت بدلا من الأيدى العاملة فنجحت
في ١٥ / ٨ / ١٨٦٩ ضرب آخر معول فى القناه فقطع الجسر الذى كان يحجز مياه البحر الأحمر عن ولوج البحيرات فاتصلت مياه البحرين (١)

(١٦) أصبحت هذه القناه شريانا لمواصلات انجلترا لايزال باقيا حجر عثره في سبيل تحقيق حريتها الكاملة وانتقل نصيب مصر من الأسهم إلى انجلترا ـ إذ اشترتها سراً من الخديو اسماعيل فى ابان الضائقة المالية بثمن قدرة ١٠٠ مليون فرنك وهى تساوى الآن عشرة أضعاف ثمنها وقد اشتراها (دزرائيلى) وزير خارجية انجلترا مستعينا ببيت (روتشيلد) وقد وقعت الدول معاهدة سنة ١٨٨٨ بحيده القناه، ولكن انجلترا الظالمة خرقت هذا الحياد سنة ١٨٨٢ عندما هاجمت عرابى

(١٧) سعت الشركة فى مد أجل القناة ٤٠ سنة أخرى(٢) إلى سنة ٢٠٠٨ فقامت ضجة الرأى العام حول هذا المسعى ورفض رفضا باتا ـ وقد قدر الغبن الواقع على المصريين بهذا العرض حوالى ٢٤٠ ألف جنيه

(١٨) ينقضى أجل الامتياز فى سنة ١٩٦٨

(١٩) من حقنا الآن أن نتسلم حماية قناة السويس فهى أرض مصرية ـ محفوره بأمر مصر ـ مصر وحدها المسئولة فى الدفاع فى الشركة محل الأجانب تدريجيا ، والحذر من أن تقع فى فخ (الدولية) باعتبار أنها منفذ بحرى تحرسه هيئة دولية فليس هذا منفذ طبيعى كجبل طارق وباب المندب أو الدردنيل إنما هو ممر صناعى

---

(١) اقترض اسماعيل لحفلة افتتاح القناة حوالى ٧ ملايين جنيه بفوائد قدرها ٤ ملايين وحرص على أن يدعو كل أمراء أوربا وتيجانها وبنى لذلك القصور الفخمة وكوبرى قصر النيل وقصر الجزيرة ومسرح الأوبرا وحديقة الأزبكية وافتتحت القناة فى ٦ـ١١ـ١٧٨٩ وطاف بضيوفه فى أنحاء مصر وتكلفت حفلات القناة وأعيادها ٤ ملايين من الجنيهات

(٢) مشروع مد امتياز شركة قناة السويس أربعين سنة تنتهى سنة ٢٠٠٨ بدلا من سنة ١٩٦٨ فكرة انجليزية استعمارية كانت تقصد بها انجلترا فرض نفسها على مصر هذا الوقت الطويل

(٢٠) قناة السويس (١) من أكبر الاخطاء التي ارتكبت في مصر وقد رفضها محمد على رفضا باتا وقد كان يعلم ترصد انجلترا لمصر ووقوفها الدائم في سبيل حريتها ومحاولتها اتخاذ أي التعلات لضربها في الصميم مما يجعل حفر هذه القناة فرصة لانجلترا لتحقيق مآربها الظالم

(٢١) بلغت تكاليف القناه ١٨ مليون جنيه احتملت مصر منها ١٦٨٠٠٠٠٠ جنيه وليس لها أي نصيب في الربح فقد باعت حصتها فيه كما باعت أسهمها أيضا ومنذ حفرت القناه ومصر ميدان التنازع بين الدول الغربية

---

(١) قناة السويس مصرية لحما ودما ، حفرتها الأيدى المصرية وبأموال المصريين وفى أرضهم ، وهم على أتم استعداد للدفاع عنها وحمايتها دون أى مشاركة من جيش آخر ، وقد قاموا بهذه المهمة فى الحرب الأخيرة خير قيام إذ ثبت أن ٩٩٪ من الالغام التى ألقيت فى القنال قد اكتشفت ونسفت قبل أن تنفجر علما بأن الهجوم على القناة برا غير ميسور ولو وصلت قوات معادية إلى الحدود المصرية فلا تصل إلى القناة إلا بعد اجتياز ٢٠٠ كيلو متر داخل الحدود المصرية .

ثورة عرابى والاحتلال الانجليزى

(١) ٢٦ / ٦ / ١٨٧٩

تولى توفيق عرش مصر فى جو مظلم مدلهم ، بين تركيا الناقمة الغاضبة على مصر ، وانجلترا الطامعة فى فرض سلطانها وسيادتها ، والبلد مثقله بالديون ، ونفوس أبنائها تفيض بالألم الممض ، والرغبة فى الثورة على هذه الأوضاع الجديدة الغريبة التى سببها اسماعيل باسرافه وتسرعه ، وقد كان توفيق قبل أن يلى العرش يشارك الأمة شعورها بالألم والأسف على إرهاق المزارعين والفلاحين والإستدانة من اليهود .

(٢) وكانت روح الثورة وعواملها تتأجج فى النفوس تثيرها توجيهات جمال الدين ومحمد عبده وشعور عرابى وأصحابه ، وتمردهم على ما وصلت إليه حالة مصر من تدخل الدول والتنازع بين تركيا وانجلترا والدول الدائنة على مصر وكل منها يريد أن يفرض سلطانه ويلغى سلطان الآخرين .

وكان أظهر ما هنا لك الارتباك المالى ، وتدخل الدول بحجة المحافظة على مصالح رعاياها الدائنين .

(٣) وقد عرف عن توفيق رضاؤه عن زعماء الفكر والرأى أمثال جمال وعبده وتأييده لحركتهما ، والإيمان بشعور الأمة فلما تولى الملك حارب هذا الشعور ونفى جمال الدين وعاد إلى حكم الفرد .

(٤) وزاد التدخل فى شئون مصر ودعيت لجنة لتصفية الدين المصرى وقدمت تقريرها فى ١٧ / ٧ / ١٨٨٠ وبه بلغ دين مصر ٩٣٠ / ٧٤٨ / ٩٨ جنيها ، وقد كان هذا الشعور المضاد لمشيئة الشعب من توفيق، ولما كان معروفا عنه وبالنسبة لدقة الظرف نفسه ، ومعاصره الناس لعهد اسماعيل الذى رزئت فيه البلاد بهذه المحنة وتنقلها فيه من الإستدانة إلى المراقبة ، إلى تدخل الدول ، وفرض رقابتها على الحكومة والوزارة والمالية عامة - أدى هذا الشعور - إلى ظهور بوادر وعلامات للثورة والتمرد والإنفجار وبدأ هذا بتبرم الجيش الذى نشأ عن شعور

العنصر المصرى بالإهانة إزاء العنصر الجركسى والتركى ، وقد زاد هذا الشعور حده ، وإزعاجا وتأججا اختيار (عثمان رفقى) الشركسى وزيرا للحربية ومناصرته لأبناء جنسه واضطهاده للضباط والجنود المصريين .

(٥) هذا فضلا عن عدول توفيق عن حكم الشورى إلى حكم الفرد ، كل هذا مع غفلة توفيق عن دراسة نفسية الشعب ومشاعر الجماهير ، وتجاهله لهـــذا الشعب ، هذا التجاهل التقليدى الذى عرف عن اسماعيل وحكام مصر من قديم ، كانه له تأثيرا سيئا فى ازدياد روح التمرد .

(٦) والعجيب أن توفيق ـ الذى كان يحاول الوقوف فى وجه الدخلاء ويسعى لوضع خطط الحياة الدستورية ينقلب فجأة إلى الرغبة فى الحكم المطلق ويترك للتدخل الأوربى الحرية الكافية لفرض سلطانه .

(٧) وقد برهن توفيق (١) على ضعف بالغ وقصور عجيب فى تقدير شعور الشعب والإحساس بالآثار العجيبة التى ظهرت فى سيطرة الدول الأجنبية على مصر وفرض سلطانها ، فضلا عن خوفه العجيب وإحتمائه الغريب بفرنسا وانجلترا ، ولم تظل هذه المعالم السياسية غامضه بل تكشفت عن صور واضحة أثارت النفوس ، وتجمعت إليها عوامل جديدة ومعالم غريبة أعلن خلالها عثمان رفقى ، وقف ترقيات المصريين واستمرار ترقيات الجراكسة مما أدى الى احتجاج عرابى وعلى فهمى وعبد العال حلمى الى الخديو والى رياض فلما أخذت الحكومة فى محاكمتهم وألقت القبض عليهم ، سارت الايالاتهم الى انقاذهم من سجنهم بقوة السلاح ، واتجهوا الى قصر عابدين وعلى رأسهم عرابى

---

(١) وصف كرومر الخديو توفيق فقال (اشتهر بالتقوى ولكنه كان خلواً من ظاهره التعصب مما يصطبغ به أتقياء المسلمين ، ووصلت تقواه بينه وبين رعاياة المسلمين ، وكانت لذلك عاملا سياسياً عظيم الخطر وكان بالقياس إلى من حوله مستقيما وفياً ، وكان كأكثر أهل بلاده يخاف المسئولية ويجتهد ما استطاع ليلقى كل ما يقدر على القائه منها على أكتاف الآخرين وكان عظيم النشاط يعوزه الابتكار . لو أنه كان رجلا قوى الارادة سامى الخلق حاد الزكاء لوضع نفسه على رأس حركة الاصلاح فى مصر ولظهرت سلطته)

مطالبين بالعفو عنهم واقالة عثمان رفقي وقد أجاب الخديو طلبهم وعين البارودى وزيراً للحربية .

(٨) ازدادت العسكريون قوة بعد حادث قصر النيل ،وانضم اليهم الكثير من الشعب وأصبحوا يجاهرون بضرورة تشكيل مجلس نيابي ، وكان سامى من أكبر العاملين لهذة الحركة مما أدى الى عزله من الوزارة ، واجلال محله من حاول قمع هذه الحركة ، وضوعفت الرقابة فى عهده على الضباط الكبار إذ بث عليهم العيون والأرصاد ، وانتهى ذلك إلى محاولة الخديوى باجراء تنقلات بين الالايات ،كان المراد بها إبعاد عرابى وأعوانه مما أدى إلى رفضهم تنفيذ الأمر وإعلانهم الخديو بقرارهم الذى يقضى بانتقال الجيش بكامل وحداته إلى عابدين لتقديم مقترحات خاصة بنظام الحكم فى البلاد وشئون الجيش

(٩) أما توفيق فقد كان موقفه ضعيفاً لاتسنده عزيمة الملوك القوية ولا تحوطه همة السلاطين العالية فاضطرب ازاء هذا التبليغ ولم يدر ماذا يفعل ،وجال بخاطره تجريد الطباط من رتبهم والقائهم ، وفكر غير واحد ممن حوله فى هذه الأمور ، ولكنه لم يستطيع لضعف عزيمته أن يحقق شيئاً منها ، وانتهى به الأمر إلى الانتقال ومعه الوزراء إلى معسكر الالآيات ، ليرجو عرابى وأعوانه أن لاينفذ ما اعتزمه ولكن عرابى كان سبقه إلى عابدين .

(١٠) كان يوم ٩ - ٩ - ١٨٨١ يوما خطراً فى تاريخ الوطنية المصرية قام فيه عرابى على رأس الجيش (١) ممتطيا جواده مستلا سيفه ، متقدما إلى ساحة عابدين .

ولما أمره توفيق بالترجل وإغماد السيف فعل وتقدم طالبا إسقاط الوزارة وتشكيل مجلس النواب وزيادة عدد الجيش ، والتصديق على قانون العسكرية الجديد وعزل شيخ الاسلام ، وكاد توفيق بتسرعه أن يرفض هذه الطلبات ، وأن يواجه عرابى المتحمس المنفعل بموقف قد ينتهى إلى سوء به ، وقد انتقلت

---

(١) الجيش المصري فى ذلك الوقت كان هو الهيئة الوطنية الباقية اليقظة إلى مطالب الوطن وقد أيدها الشعب .

الرسل بين الخديو (١) وعرابى للتفاهم ولكن عرابى كان صلبا إلى أبعد حد، وأبى أن يتنازل عن مطالبه وقد استجاب الخديو إلى بعض طلبات عرابى فاسقط وزارة رياض ووعد بتنفيذ باقى الطلبات تدريجيا .

وشكلت وزارة شريف، وفرقت الضباط الثلاثة فى أنحاء القطر .

(١١) وبهذه الحوادث زاد اعتماد توفيق على معاونة فرنسا، وانجلترا واستسلم لهما تماما وقد خشى أن تحاول تركيا معه المحاولة السابقة مع اسماعيل، وقد أداه ضعفه الى الإرتماء فى أحضان انجلترا وفرنسا إلى أبعد الحدود، فكان اطمئنان توفيق الى سفراء هذه الدول واستعدائه اياهم على الشعب وحقوقه أول باب مكن لانجلترا من احتلال مصر

(١٢) وعلى الذين يحاولون أن يرموا عرابى بأنه كان سببا فى احتلال انجلترا لمصر أن يوجهوا هذا الى توفيق بنفسه بصورة أبلغ، فقد كان عرابى قويا وكان توفيق ضعيفا، وكان عرابى مع الشعب وكان توفيق مع الغاصبين .

(١٣) وتطورت الحوادث بعد تشكيل مجلس شورى النواب إلى استقالة شريف فى ٤ / ٢ / ١٨٨٢ وتأليف محمود سامى البارودى للوزارة وتعيين عرابى وزيراً للحربية فيها

وزاد نفوذ انجلترا وفرنسا وتدخلهما بعد ارسالهما المذكرة المشتركة التى أعلنا فيها أن سكينة مصر مما يعنيهما لمصلحة رعاياهما واعلان استعدادهما لدفع مايدرأ على مصر من الاخطار

(١٤) والواقع إن مصر فى هذا الوقت كانت تتنازعها جهات مختلفة كل منها يدعى حقه فيها، تركيا تدعى أن لها فيها الحق الأول، وإن كل مذكرة توجه من فرنسا أو انجلترا دون أخطارها تستدعى احتجاجها - وفرنسا وانجلترا يدعيان

---

(١) قال الخديو لعرابى : كل هذه الطلبات لا حق لكم فيها وأنا خديو البلد وقد ورثت هذه البلاد من أبائى وأجدادى وما أنتم إلا عبيد إحساناتنا فقال عرابى : لقد خلقنا الله أحراراً ولم يخلقنا تراثا ولا عبيدا ولا نورث بعد اليوم وقال أو كان كلفى — وماذا تفعل إذا لم تجب إلى ما تطلب قال : هذه كلمة لا أقولها إلا عند اليأس والقنوط .

الحق الأول فى السيطرة على مصر لأنهما الدائنان وأصحاب المصالح ولهما فى مصر الجاليات التى يخشى عليها من اضطراب الأمن ويعلنان مع هذا (تطوعهما !) لحماية السلطان وتوطيد عرشه وانجلترا من وراء فرنسا تعمل على وضع يدها على مصر وحدها .

(١٥) واضطردت الحوادث فاستفحل الخلاف بين الخديو (١) والوزارة على بعض الشئون التى أوقفها الخديو كالتصديق على حكم المجلس الحربى ، وقد زاد الخلاف شدة تنمر انجلترا وفرنسا وإدعائهما الكاذب للتدخل والسيطرة .

وفيما يشتد الخلاف الذى سببه ضعف توفيق عن مواجهة الحوادث ، بالحزم والقوة ، ودعيت الهيئة النيابية للاجتماع وسعى بعض النواب للتوسط بين الجانبين إذ وصلت البوارج الانجليزية والفرنسية إلى المياه المصرية ثم تلى وصولها بلاغ وجهه قنصلى فرنسا وانجلترا فى ٢٥ / ٥ إلى الخديو يطلبان فيه اسقاط الوزارة ونفى عرابى وإبعاد على فهمى وعبد العال حلمى إلى الإرياف .

وقد عرض الخديو هذا الإنذار على الوزراء فرفضوه وأقره هو ، فاستقالت الوزارة وقبل الخديو استقالتها ودعى شريف لتشكيل الوزارة (٢)

(١٦) ولكن الموقف كان أسرع تطوراً فبينما كان عرابى يحاول خلع الخديو كانت تركيا توفد مندوبها لينظر فى الخلاف بين الخديو ووزرائه رغبه فى خلعه وتولية البرنس حليم مكانه ، وقد اضطربت الأمور فى هذه الأيام اضطرابا أدى إلى إبقاء عرابى وزيراً للحربية فى وزارة اسماعيل راغب .

---

(١) أول ما استعانت به السياسة الانجليزية فى تدابيرها هو إيقاع الانقسام بين الخديو والعرابية ففتح هذا الانقسام الثغرات لتدخلهم وأضعف قوة المقاومة فى البلاد وأصبح هناك معسكرين يكيد كل منهما للآخر فى وقت كان الانجليز يعدون العدة للقضاء على المعسكرين معاً .

(٢) إن الحكومة الانجليزية قد انطوت على نية نمت عليها الحوادث التى تعاقبت فى ذلك العهد وهى خلق الأسباب والذرائع الباطلة لاحتلال البلاد عبد الرحمن الرافعى

(١٧) وأعان المتربصين بالوطن على أحداث فتنه الاسكندرية فى ١١ يوليو (١) ١٨٨٢ فقد كان المرجل يغلى وكان الموقف لا يحتمل هذه الحلول الضعيفة ، أو هذه المطاولة مع شعور الشعب وحماسته والضغط القوى الذى تنفجر به أعصابه من بقاء بوارج فى مياه الاسكندرية ، إلى خلاف بين الخديو والوزارة إلى تدخل من عدة جوانب : تركيا وفرنسا وانجلترا .

(١٨) ولا شك مطلقا فى أن الإنجليز هم الذين دبروا فتنة الاسكندرية فى ١١ يوليو رغبة فى تهييج الخواطر والتمكين لأنفسهم ، وأنهم الإنجليز محافظ الاسكندرية بالتهاون فى قمع الحوادث . وكان الخديو توفيق بضعفه المشين ، بين عوامل الخوف من كل جانب من جانب تركيا ومن جانب العرابيين ، وغاب عنه أن تأييد فرنسا وانجلترا له لا يتعدى هذه المجاملات الوهمية وانتهاز الفرص وتثبيت أقدام الإحتلال ، ولو عزلته تركيا لما وجد منهم عملا إيجابيا لتثبيته .

(١٩) بدأ عرابى بتقوية حصون الاسكندرية فاستلفت أنظار الانجليز ودعى ذلك (سيمور) أن يبلغ الخديو بأنه مضطر إلى ضرب قلاع الاسكندرية بالمدافع إذا لم توقف التحصينات الجديدة .

(٢٠) وقد وصل تسفيه الشعور المصرى والاستهانة به ، إلى الحد الذى طلب فيه الإنجليز بلسان (كلفن) إلى الخديو توفيق الانتقال إلى بارجة أمير البحر الانجليزى لأن الغرض من وجود الأسطول هو تأييد ملكه ،وطبيعى أن توفيق لم يصل به الجبن إلى حد الإرتماء فى أحضان الإنجليز وقبول هذا الوضع .

اليوم المشئوم ١١ يوليه ١٨٨٢

(١) فى صباح هذا اليوم أطلقت البوارج الانجليزية مدافعها على حصون الاسكندرية فجاوبت الحصون باطلاق مدافعها ، ولكن هذه المجاوبة لم تدم الا إلى الساعة الحادية عشرة ، إذ دك بعضها دكا ، وفقد العرابيون الأمل القوى الذى كانوا يتعللون به من مقاومة الحصون لضربات البوارج

---

(١) يروى بعض المؤرخين أن مذبحة الاسكندرية دبرت تدبيرا سريا ونفذتها عصابة مأجورة من البدو وكان البوليس قد تلقى تعليمات بأن لا يتدخل فى الأمر واتخذت الاجراءات بأن لا تنقل الاخبار إلا بعد أن يمضى بضع ساعات على بداية المعركة
(ص ١٣ — الاستعمار البريطانى فى مصر)

وانتقل الخديو من سراى الرمل إلى سراى رأس التين حيث كان فى استقباله (سيمور) وعدد من الضباط الانجليز حماة الخديو وعرشه

(٢) وقد بدأ الخلاف بين الخديو والعرابيين ينقلب إلى خصومه والواقع أن تركيا (١) كانت تؤيد عرابى ولكن للأسف كان تأييداً لاقيمة له لانه لاقوة معه ، وكان هذا التأييد نفسه سببا لخصومه الخديو مع العرابيين الذين كان يعتقد أنهم بالاتفاق مع الأتراك يحاولون عزله . ولذلك كان الموقف كله كسب للانجليز

عرابى يواجه الانجليز

(١) عسكر العرابيون فى كفر الدوار ، وغفلوا عن قناة السويس بعد أن أعلن دسلبس أنها بمأمن من خرق حيادها وقد خدعوا له وانصرفوا عن تحصينها اعتماداً على هذه الحيدة الوهمية ، وكانت انجلترا فى ذلك الوقت قد خطت الخطوة العملية الأولى فى تثبيت أقدامها فى مصر بشراء أسهم قناة السويس ، ليكون لها حق التدخل المسلح والسيطرة الفعلية فانتهزت فرصة مرابطة عرابى بكفر الدوار واحتلت أساطيلها بور سعيد والاسماعيلية

(٢) وعزل الخديو عرابى واعتبره ثائراً ، وأصبحت هناك حكومتان ، حكومة الخديو وحكومة الثورة ، وانتهى هذا بانهزام عرابى فى موقعه التل الكبير فى ١٢ سبتمبر ١٨٨٢

ودخل الانجليز (٢) القاهرة فى ١٥ سبتمبر ١٨٨٢

---

(١) فى وقت ضرب سيمور للاسكندرية كانت المفاوضات بين الدول تدور فى تركيا لارجاع الأمن إلى نصابه فى مصر وقد تم توقيع هذه الاتفاقية يوم هزيمة عرابى ١٣-٩-١٨٨٢ .

(١) قتل من المصريين ألفى جندي وأسر نصف ألف .

الاحتلال

إذا توطدت أقدامنا فى مصر تكون هذه المستعمرة الأولى بوجه التحقيق بمثابة ذريعة لتأسيس امبراطورية شاسعة فى افريقيا الشمالية تأخذ فى النمو تدريجيا إلى أن تدخل فى تخومها منابع النيل الأبيض بل تنتهى بدون شك بأن تجتاز خط الاستواء ليصل بمستعمرة الناتال ورأس العشم وذلك بغض النظر عن الترنسفال ونهر الأورنج (تصريح غلادستون سبتمبر ١٨٧٧) من مجلة القرن التاسع عشر .

(١) وقعت الواقعة ، وتحقق الأمل الذى كانت انجلترا تسعى اليه منذ اشترى دزرائيلى أسهم قناة السويس ، ثم كان تفاقم الديون سببا وجيها فى نظرها يستدعى التدخل وفرض السلطان ويعين على الوصول الى الغاية .

ثم كانت ثورة عرابى الوسيلة التى تغلل بها الانجليز لتحطيم كرامة مصر وشعبها الأبى واذلاله باسم توطيد عرش الخديو وحمايته من الثائرين مع ثقته هو بهذه الخدعة واستسلامه لهؤلاء واعتقاده أن التجائه اليهم ينجيه ، وما أهون الأوطان على مثل توفيق إذا كانت حياته هو فى أمن فلا عليه من سحق الحريات وتحطيم العزة الوطنية ووضع اليد على سيادة الأوطان وهدمها من أساسها .

(٢) ولو أن توفيق استعان بالشعب وأعانه وأمده وشجعه وقواه لكان له منه حصن حصين وسناد قوى وملاذ كريم ، ولاستطاع به أن يرد عن مصر ما يراد بها من كيد ، فلا شك مطلقا فى أن عرابى كان مخلصا ، وكان مؤمنا بحق وطنه ، راغبا الى عزته ، يريد أن يخلصه من كل لون من ألوان الاستعباد أو الطغيان .

(٣) وإن كان التاريخ قد حكم عليه حكما قاسيا وإن كانت حركته انتهت بهزيمته فان لذلك أسباب إن كان بعضها يقع على عاتق عرابى فان الكثير منه يقع على العوامل المحيطة التى تآزرت على هزيمته وفشله وتحطيم خطته ، فقد

انتهى الأمر بعرابى أن وقف وحده فى الميدان ، حتى هذا الفريق المحيط به من الجيش استطاع بعض أتباع الخديو والانجليز أن يغروهم بالنضار ويفسدونهم بالمال فيخونوا عرابى ويكشفوا ورقه ويسمموا آباره فباعوا هذه الخطط والاتجاهات والأسرار رخيصة ، ونسوا أنهم انما يبيعون وطنهم للدخيل لقاء عرض فان من المال الذى كتب عليهم به الذل والنكال من أوطانهم ومن الانجليز أنفسهم .

(٤) ولقد كان يخيل للخديو توفيق أن ملكه قد استتب بالقبض على عرابى وبدخول الانجليز القاهرة ، ولكنه كان واهما فى ذلك كله ، فان دخول الانجليز مصر ، كان القضاء الاخير على سلطانه كله وهو الذى احاله بعد ذلك ولا رأى له فيما يجرى فى مصر ، وقد انتقل هذا السلطان إلى (نائب الملك) الذى فرضته انجلترا ليصرف الامور فى حرية وبدون مراجعة أو معارضة .

(٥) أغل التدخل كل سلطة للمصريين ، وفرض الرقابة الكاملة على كل شىء ووجه كل تصرف فى شئون هذا الوطن ، وبه انتقلت السلطة انتقالا كاملا من أيدى الحكام المصريين ومن يد الخديوى نفسه فاصبح فى قصره ولا عمل له وكان هذا جزاؤه .

(٦) وبدأت سلسلة الوعد الكاذبة الخادعة (١) البراقة التى استهلها الانجليز بوعد (دوفرين) للباب العالى عقب موقعة (التل الكبير) بأن انجلترا تفكر فى سحب جنودها من مصر ما دام النظام قد استتب .

(٧) وفرضت انجلترا سلطانها على الثائرين فقد اراد الخديو اعدامهم ، ولكن انجلترا (نصحت) بالافراج عنهم ، ما عدا عرابى ومحمود سامى ومحمود فهمى وعلى فهمى فقد استبدل الاعدام بالنفى .

---

(١) سخر الانجليز منا بوعودهم الكاذبة المضللة التى توسلوا بها إلى دخول القاهرة ، ومكن لهم توالى الحوادث واشتغال ثورة المهدى من البقاء وفرض أنفسهم ، إذ صرحوا — أنهم لا يستطيعون الخروج خوفا من مهاجمة قوات المهدى الثائرة لمصر ، وهذه تعللات كاذبة وكل ما هنالك أن الضغط كان شديداً على الشعب فلم يستطع إعلان شعوره وقد أدى هذا الكبت إلى انفجار سنة ١٩١٩

(٨) ومنذ ذلك اليوم وضعت إنجلترا يدها على كل شيء، على الجيش وعلى الحكومة وعلى المالية وعلى الأمن العام وفرضت رأيها علانيه حتى جاءت الحرب الكبرى ففرضت الحمايه ثم بدأت تتوارى من الميدان العلنى إلى العمل وراء ستار باسم النصيحة والرأى والصداقه فاذا تخلفت حكومه من الحكومات عن رأى من آرائها أو نصيحة من نصائحها أنذرتها وهددتها وأحدثت أزمه تنتهى باستقالتها او باقالتها

والويل للحاكم الذى يقف فى طريقها أو فى طريق مطالبها!

(٩) وبدأت انجلترا تفرض سلطانها فأمرت بالغاء مجلس النواب وطلبت إستبداله بمجلس شورى القوانين والجمعية العمومية، وأذعن توفيق للانجليز إذعانا كاملا ورضى عنهم واستراح اليهم فى الوقت الذى بدأت إنجلترا فيه تقمع من سلطان فرنسا لتنفرد بالسلطان وحدها، وفى الوقت الذى بدأت فيه فرنسا تناوىء الانجليز، مما أدى إلى مناصرتها - أى فرنسا - وقتا غير قصير للاحرار من الدعاة إلى تحرير مصر كمصطفى كامل وغيره إلى أن عقدت إنجلترا معها معاهدة المبادلة الإستعماريه سنة ١٩٠٤ التى أطلقت فرنسا بمقتضاها يدها فى شمال أفريقيا مقابل تسليمها لانجلترا باطلاق يدها فى مصر

(١٠) وفرض الانجليز ٣ مليون جنيه تعويضاً لما أصابهم من الضرر من جراء فتنة الاسكندرية وأوفدوا إلى السودان فلول الجيش لقمع ثورة المهدى وفرضوا علينا الانسحاب منه دون أى سبب إلا أنه جزء من وادى النيل الذى لا يتجزأ - وإصرارا على سياسة إستعمارية ماكرة ترمى إلى تمزيق كل وحدة، وفصل السودان عن مصر من أهم ما ترمى اليه إنجلترا فى أول أيام الاحتلال، وكان ذلك ترقبا لوضع جديد يصبحون فيه سادة السودان باسم الحكم المشترك أو الثنائى وقد سلمنا لهم بالانسحاب وانسحبنا، ثم فرضوا علينا الزحف للفتح مرة أخرى وشاركونا ببضع ضباط أمام الجيوش المصرية التى عرضت نفسها للفناء ثم فازوا من بعد ذلك بالسيادة على السودان وهى ما كانوا يرمون اليها منذ زمن بعيد

(١١) عهد توفيق، هو العهد الأسود الثالث، أما الأول فهو إنشاء القناة

وأما الثانى فهو الاستدانة أما الثالث فهو دخول إنجلترا إلى مصر وهزيمة عرابى

وإنى أعتقد أن التاريخ سيحمل توفيقا فى ذلك الكثير من المسئولية والكثير من التبعة ، فقد كان فى استطاعته أن يقف فى صف الشعب يقوده ويسدده وهو ممتلىء الروح بالقوة مؤمن بحقه ، ولو فعل لما تفرقت الجهود وتمزقت الوحدة ، وارتجلت الثورة التى أدت بعرابى إلى الهزيمة فالنفى وبمصر إلى الاحتلال والاندحار وضياع السيادة وتحطم الكرامة

بواعث الثورة ونتائجها

قاعدة البحث

لا مسئولية على عرابى فى الثورة ، بقدر مسئولية سعيد فى حفر القناه وهى التى لم يقرها محمد على - ومسئولية إسماعيل فى الاسراف والاستدانة ومسئولية توفيق فى الضعف والجبن والجنوح إلى الانجليز والارتماء فى أحضانهم

ثم بعد ذلك الارتجال ، ونقص الوعى الوطنى والدينى ، والغفلة عن ردم قناة السويس وثقة عرابى بالأكاذيب التى يسميها الانجليز (معاهدات واتفاقيات)

---

(١) الديون أولى مقدمات الثورة

(١) شجعت أوربا إسماعيل على الاستدانة وتنافست البيوت المالية اليهودية فى ذلك

(٢) أنفق إسماعيل ٢٠ مليونا من الجنيهات رشاوى إلى رجال الدولة العثمانية مقابل حصوله على الفرامانات الخاصة بوراثة العرش ولقب خديو وإطلاق يده فى الديون وزيادة الجيش

(٣) مشروع المحاكم المختلطة كلفة ١٢٠ ألف جنيه

(٤) بمراجعة مالية الحكومة من بدأ الاحتلال إلى الحرب العظمى يلاحظ

أن هناك ملايين عدة تزيد عن المصروفات كان فى الامكان تسديدها من دين مصر ولكن الانجليز هم الدين حالوا وتوقفوا عن تسديد هذا الفائض (١) رغبة فى التمكين لأنفسهم بالبقاء وسيحملون فى ذلك مسؤلية كبرى أمام التاريخ وأمام اليقظة الجديدة

(٥) أخرج الانجليز القضية المصرية من دوليتها بالغاء المراقبة الثنائية بعد الاحتلال مباشرة ليتمكنوا من السيطرة الكاملة الحرة على مصر والقدرة فى التصرف الكامل دون معارضة

(٦) إنشاء صندوق الدين ، فكان دولةداخل الدولة ، وشل سلطةالخديو

(٧) تأليف وزارة نوبار ، ووزرائها أجانب (ريفرس واسن) للمالية ودى بلنير للاشغال وسميت الوزارة الأوربية

مقرمات أخرى

(١) ضعفت قيادة توفيق وانقياده للحاشية واستسلامه للانجليز وارتمائه فى أحضانهم

(٢) حكم الفرد والاستهانة بالنظام الدستورى

(٣) استياء عرابى والضباط المصريين من سيطره الضباط الشراكسة والأتراك واضطهادهم المصريين

(٤) يقظة الروح الوطنية ، وضغط الحوادث على أعصاب الشعب وتنبه الشعور عامه بالصحافة وغيرها

(٥) تدخل الدولتين فى المجلس النيابى بعد تكوينه فى ٢٦ / ١٢ / ١٨٨١ عند نظر الميزانية وعارضتهما فى تخويله حق نظرها الآن فى تقريرها ما يمس حقوق الدائنين

---

(١) إن دين مصر الآن كما هو منذ خمس وعشرين سنة ولا غرو إذا عمدت بريطانيا إلى الوقوف فى سبيل وفاء هذا الدين كله أو بعضه فلقد كان الدين من بين الأسباب المنتحلة لاحتلال انجلترا لمصر والبقاء فيها (عن كتاب (مصر وإرهاقها) — قرمات — سنة ١٩٠٨)

عوامل الثورة

أزمة يناير ١٨٨٢

(١) اعتراض فرنسا وانجلترا على وضع الدستور . أزمة سياسية خطيرة ، سوء نية الدولتين حيال مصر وائتمارهما بالنظام الدستورى وتقديمهما مذكرة الى الخديو .

(٢) تدعى فرنسا وانجلترا فى مذكرتهما حق القوامة والرقابة على مصر (والحكومتان متفقتان اتفاقا وطيدا على بذل جهودهما المشتركة لمقاومة كل أسباب المشاكل الداخلية والخارجية التى قد تهدد النظام القائم فى مصر ولا يخامرهما شك فى أن الجهر بعزمهما فى هذا الصدد سيكون له أثره اتقاء الأخطار التى يمكن أن تستهدف لها حكومة الخديو)

(٣) ترى(١) المذكرة الى مكاشفة الخديو بأن الدولتين مؤيدتان له ومعنى هذا التأييد فى الملابسات التى كتب فيها هى اغراؤه بالسعى لاسترداد السلطة المطلقة والعبث بالنظام الدستورى الجـــديد والدس والتفريق بين الخديو والحركة الوطنية .

(٤) قوبلت المذكرة بالسخط والقلق وكان لها أثر فى هياج الخواطر بين الشعب عام والضباط خاصة وقد تم تشكيل مجلس النواب رغم أنفهما .

(٥) قدمت الدولتان مذكرة أخرى تطلبان فيها (٢٦ / ١ / ١٨٨٢) عدم تخويل مجلس النواب حق تقرير الميزانية .

---

(١) عبد الرحمن الرافعى

ارسال[1] الاسطول

(١) حدثت مؤامرة الضباط الشراكسة لاغتيال عرابى وحكم عليهم بالنفى المؤبد الى أعالى السودان وتجريدهم من الرتب العسكرية والنياشين وعلى رأسهم (عثمان رفقى) فلما رفع الحكم الى الخديو ، للتصديق عليه ، رفضه وامتنع عن اقراره فوقع على أثر ذلك خلاف بينه وبين الوزارة (البارودى) وحاولت الحكومة دعوة مجلس النواب فرفض الخديو ، وقد اتخذت فرنسا وانجلترا هذا الخلاف بين الحكومة والخديو تعله لأن يرسلا أسطولها الى مصر فى ١٢ مايو ١٨٨٢ ، إذ عدت هذه حالة ثورة تستدعى التدخل المسلح ، والعجيب الغريب أن تذيع انجلترا فى مصر على أثر ذلك منشوراً تقول فيه (أن وصول هذا الأسطول لا يكدر علائق الحكومتين ، وانه انما يجىء بصفة ودية وبطريق المسالمة) . والعجيب أن هذه الصفة الودية هى التى أباحت للاسطول فى ١١ يولية ١٨٨٢ أن يضرب الاسكندرية بقنابله .

(٢) قدمت انجلترا وفرنسا مذكرة فى (٢٥ مايو ١٨٨٢) تغاير لهجتها عبارات الود والمسالمة التى كررتها قبل وصول الأسطول ، وقد نحت فيها نحوا تهديديا عنيفا ، وقد طلبتا فيها إقالة وزارة البارودى واخراج عرابى من مصر

---

(١) بعد ما وصل الأسطولين شعر الأجانب أن مجيئهما هذ ارهاصا بثورة ، أو أنه تهديداً أو وعيداً ، وقد دفع هذا كثير من الأجانب إلى المهاجرة من القاهرة . والاقاليم إلى الاسكندرية ليكونوا تحت رعاية الاسطولين فغصت الاسكندرية بالاجانب من سكانها ومن القادمين إليها من الاقاليم وكان احتشادهم من الاسباب الباعثة على تفاقم الهياج) — عبد الرحمن الرافعى (ص ٢٩٨ — الثورة العرابية)
ثم تسلح الاجانب وتحريض القنصل للأهالى على التسلح وقد جلب لذلك الاسلحة من أوربا فقد ثبت من تقارير خفر السواحل أن الاسلحة كانت ترد من الاسطول الانجليزى وترسل إلى القنصلية الانجليزية وأول من أشعل الفتنة مالطى من رعايا بريطانيا ، وأخ لخادم القنصل الانجليزى ويرى الأستاذ الرافعي أن هذا لا يمكن أن يكون من قبيل المصادفات ونحن معه فى هذا الرأى .

كما كانت هناك تدبيرات ظهرت معالمها جيدا فى الطلقات المتوالية من النوافذ التى أطلقها الرعايا الانجليز ولم يكن الدافع عليها شيء غير إثارة الشعب .

كابينا ذلك فى مكانه مع تكرير العبارات التقليدية من حماية عرش الخديو واعادة السلطة المختصة له والمحافظة على النظام القائم وقد رفض الوزراء مطلب الدولتين

١١ يوليه ١٨٨٢

(١) عام أسود ، وشهر أسود ، ويوم أسود .

هذا العام الذى احتلت فيه مصر ، هذا الشهر الذى هزم فيه عرابى ، هذا اليوم الذى ضربت فيه الاسكندرية بمدافع الأسطول .

(٢) انتهزت لهذا الحادث (١) فرصة تافهة لا قيمة لها هى خلاف بين مالطى ومصرى صاحب حمار فقتل المصرى المالطى ، فكان ذلك ايذانا بمعركة حامية اطلقت فيها الجاليات الأجنبية من النوافذ على المصريين الآمنين رصاص المسدسات واتسعت رقعة المعركة واتخذت سببا لضرب الاسكندرية .

(٣) كتب سيمور فى ٦ يوليو الى الحكومة المصرية يقول (اننى قد علم لى بطريق رسمى أن مدفعين أو أكثر ركبت أمس فى خطوط الدفاع القائمة على البحر ، وان استعدادات حربية عملت فى القطاع الشمالى من المدينة تحديا للاسطول الذى تحت قيادته) .

أين التحدى إذن ؟ أمن المدينة صاحبة الشأن فى أسوارها وطوابيها أم من الأسطول الدخيل إلى المياه المصرية ، الذى جاء ليحمى عرش الخديو من الخلاف بينه وبين الوزارة ، ومن الزاحف الظالم المعتدى ؟ وأيهما صاحب الحق أيها الناس ؟

إنها التعللات العجيبة الظالمة التى يتخذ أصحابها من أوهن المسائل سبيلا لتحقيق مآربها الدنيئة والواقع مع هذا يكذب سيمور فانه لم تركب مدافع ولم تصلح طوابى

وقد زاد هذا الاعتداء والتحدى عند ماطلب سيمور أن تسلم اليه المدافع المنصوبة فى حصون الاسكندرية والإضراب المدنية فى صباح يوم التالى

(١) ١١ يونية سنة ١٨٧٢

أرأيت إلى أى حد يصل التعسف والظلم والطغيان من الأصدقاء والحلفاء والخصوم الشرفاء المعقولون كما سماهم بعض زعماء هذا البلد

وإلى متى نظل منقادين إلى عربة الانجليز الخربة الشوهاء. أيها الناس إن فى القلوب جروحا وندوبا لا يمكن أن تلتئم أبدا ما دامت هذه الأوضاع الظالمة قائمة فى وادى النيل

(٤) وطبيعى أن يكون رد الحكومة جافاً إذ اجابت بقولها (نحن هنا فى وطننا فمن حقنا بل من الواجب علينا أن نتخذ عدتنا ضد كل عدو مباغث يقوم على قطع أسباب العلاقات السليمة التى تقول انجلترا إنها باقية بيننا ، ومصر الحريصة على حقوقها ، الساهرة على هذه الحقوق ، لا يمكن أن تسلم أى مدفع ولا أية طابية إلا بعد أن ترغم على ذلك بحكم السلاح ، وبدأ الأسطول يستعد وأعطى عرابى تعليماته إلى قائد حصون المدينة ألا يرد على الأسطول البريطانى إلا بعد القذيفة العاشرة ، وهكذا فعل الشرف المصرى

(٥) وبدأ الضرب من الساعة السابعة إلى الحادية عشرة ثم استمر بعد فترة إلى السادسة مساء وكانت الخطة الاجرامية تنطوى على ابادة الطوابى ، حتى تسكت مدافعها ثم تحصد أرواح الجنود (الدوارع) الذين باتوا عزلا من غير سلاح بالمترليوزات

أما الرماه فقد وقفوا خلف مدافعهم فى شهامة وإيمان وقوة ، لا يهابون هذه القنابل ، يدافعون حتى تنفذ من أيديهم كل قوة على الدفاع ، وكذلك من كان وراءهم ممن ينقلون لهم الذخائر كانوا أقوياء شداداً يعملون فى رجولة وعزيمة لاحد لها

وكذلك أدى المصريون واجبهم بالرغم من شعورهم بمدى تفوق الانجليز واستعدادهم (١) «وقد كانوا يؤدون واجبهم فى العراء دون تفكير فى الموت الذى يهددهم فى كل لحظة إذ لم تكن تحميهم دروع أو متاريس »

ومن هذه الصور القوية التى يجب أن تذكر اشتراك المصريات اشتراكا

---

(١) محمود كامل

فعليا فى هذه المقاومة فقد كانوا عونا لعرابى على حركته بين مساعدة للمنكوبين ومواساه للجرحى

المناورات الانجليزية

(١) دعت انجلترا الدول الأوربية إلى مؤتمر بالاستانة للنظر فى المسألة المصرية فى الوقت الذى كانت تعد فيه المعدات للقتال ، وقد كان العرابيون يعتقدون أن المسألة المصرية ستحل بطريق المفاوضات وأن انجلترا لن تستطيع أن تنفرد بحل المسألة المصرية

(٢) أخذ على العرابيون أنهم لم يستعدوا استعداداً صحيحا للحرب ولم يكونوا على اتصال تام بأخبار انجلترا ولا الدول وكانوا يعتمدون على الأوهام والاشاعات وكان ذلك سببا فى خفاء كثير من الحقائق عنهم

(٣) بعد ارسال الأسطول ، دبرت انجلترا مذبحه الاسكندرية لتهىء الجو للتدخل الحربى ، وقد نجحت انجلترا إلى حد ما فى أن تظهر مصر بأنها فوضى وبأن النهب والقتل قد استمر ، حتى لايؤمن على حياة الأجانب ، وجعلت مؤتمر الاستانة وسيلة لاقناع أوربا بضرورة التدخل لقمع الثورة فى مصر ، وقد كانت فترة الانتظار بين مذبحه الاسكندريه (١١ يونيه ١٨٨٢) وبين ضرب الاسكندرية (١١ يوليه ١٨٨٢) فرصة تمكن الجاليات الأوربية خلالها من الهجرة .

يوم التل الكبير

(١) إحتل الانجليز الاسكندرية فى ١١ يولية وتراجع العرابيون إلى كفر الدوار ، ثم استولى الانجليز على بور سعيد وعزم عرابى على سد القنال ووضع محمود فهمى باشا قائده تصميا لذلك ينفذ فى ٢٤ ساعة بنسف جوانبها بالديناميت

(٢) دسلبس يعد عرابى بأنه يمنع الانجليز من عبور القناه ويكفل له حيادها

(٣) القائد ولسلى يستغل هذا الظرف ويقتحم القناه (١) ويحتل الاسماعيلية ويعترض دسليس فيجيبه بأن مياه القناه مياه مصرية وهو يحمل تصريحا من الخديو توفيق باحتلال المواقع التى يرى إحتلالها لازما لقمع الثورة العرابية

(٤) إتصال الانجليز بالعربان وبعض الضباط ، وخيانة « على يوسف » لقائده إذ بعث اليه يخبره « أن السكون سائد فى معسكرات العدو »

(٥) يزحف الانجليز ليلا فى الساعة الرابعة بعد منتصف الليل بارشاد « على يوسف » حتى يفاجئوا جيش عرابى بالرصاص الحاصد ، فيقتل من يقتل ويفر من يفر ، ويصل الجيش الانجليزى إلى القاهرة ويحتل ثكنات العباسية وثكنات قصر النيل ثم يفتح على يوسف باب الجبل لكتيبة من الفرسان الانجليز فيدخلون القلعة

الهزيمة

يشعر المرأ بالمرارة حين يستعرض تاريخ الثورة العرابية ووقائعها ونهايتها ويملأه الأسف والكمد ، فقد انتهت إلى غير نتيجة إيجابية وطنية ، ولم تترك أثاراً حية مطلقاً ، وإنما تركت وراءها هذا الاحتلال البغيض

وعرابى نفسه لم يقف الموقف المشرف الذى كان مرجوا منه ، كقدوة ونبراس ولم يكتسب لنفسه البطولة ولم يرخص حياته فى سبيل وطنه كما كان غير بعيد النظر ، وقد أخذ عليه تركه القناة بغير تحصين ، وعدم قيادته المواقع الحربية بنفسه ، كما أن موقفه بعد الانهزام لم يكن مشرفا ، بل كان مخزيا مزريا ، فقد لجأ إلى الانجليز وتمسح بهم ليخففوا عنه الاعدام ، ثم مره أخرى ليعود إلى مصر من النفى

أبرز أسباب الهزيمة

(١) الانقسام بين الخديو والعرابيين

---

(١) القناة العامل الأكبر إن لم تكن العامل الوحيد لانتصار الانجليز فى معارك الميدان الشرقى واحتلالهم العاصمة ولو سد عرابى القناة قبل مرور السفن الانجليزية لما استطاع الانجليز الزحف على مصر من طريق الاسماعيلية (عبد الرحمن الرافعى — ص٢٤٢ — الثورة العرابية)

(٢) نقص الكفاءة الحربية
(٣) ضعف البطولة والتضحية
(٤) انضواء الخديو توفيق للانجليز
(٥) انتشار الرشوة بين الجيش والأعراب

عرابى [1] فى التاريخ

(١) جبن عرابى فى الموقعة الفاصلة فلم يستشهد ولو استشهد لمات بطلا ، وكان جديرا بالثناء والتقدير ولكن عرابى آثر الحياة على الواجب المقدس ، ففقد روح البطولة والتضحية ، ولم يكن هذا عهده للأمة قبل نشوب الثورة ، فقد كان يقول إنه لايخشى تهديد انجلترا ولا أوربا

فياليت شعرى لم لم يف بعهده فيكون دفاعه على الأقل صفحة بطولة فى تاريخه وفى تاريخ مصر ؟أما إذا كان معتزما لهذا التسليم الضعيف بمجرد الهزيمة فكان الأولى به ألا يغامر بالبلاد فى حرب أدت إلى الاحتلال والهوان

(٢)ولو أن عرابى لم يستشهد فى موقعة التل الكبير ، وتراجع منها مصراً على الاستمرار فى المقاومة لعد عمله بطولة تذكر له بالخير ، ولكنه ما أن انهزم الجيش حتى سلم وألقى نفسه فى أحضان الانجليز .

(٣) تقرير عرابى للمحاميين (الانجليز) الذين ترافعو عنه يحتوى تمليقا شديداً للدولة الانجليزية بما لا يتفق مع دعوته ولا مع ما يجمل بالزعيم أن يتصف به من الشمم والآباء .

اتفق الانجليز مع محامى عرابى على أن يقدم عرابى وصحبه الى المحكمة العسكرية بتهمة عصيان الخديو مع استبعاد تهمة مذبحة الاسكندرية واحراقها ، على أن يعترفوا بجرمهم وأن يستبدل الخديو الاعدام بالنفى المؤبد وأن تصادر أملاكهم .

(٥) كانت المحاكمة صورية محضه ، ونفى عرابى وصحبه الى سيلان ثم

---

(١) استعنا على هذا الفصل بكتاب الثورة العرابية للاستاذ عبد الرحمن الرافعى

أعيد بوساطة الانجليز أو- بأمرهم - في ١ / ١٠ / ١٩٠١ وقد أدلى عرابى بعد عودته بتصريحات تؤيد الاحتلال وسياسته فقوبل من الأمة بالفتور والسخط .

(٦) (١) لم يخلف عرابى ولا عبد العال وراءهما قرشا ، وليس هناك أبلغ من هذا دليلا على نزاهة هؤلاء الناس وطهارة أيديهم بعد أن ظلت أقدار مصر لمدة عام كامل ، تتحرك وفق أهوائهم لا ينازعهم أحد سلطانا .

(٧) والواقع أن ثورة عرابى وإن لم تكن عميقة الجذور إلا أنها ثورة المصرى ضد النفوذ الأجنبى أيا كان نوعه ، والدليل القاطع على أن مصر لا تقبل الذل ولا ترضاه .

عرابى وثورته فى الميزان (٢)

(١) كان خطيباً يؤثر فى الجماهير بقوة الجرأة والاخلاص والإيمان إلا أنه لم يكن ذلك السياسى المحنك .

(٢) انتشار الخيانة بالجيش بفضل الحزب الشركسى وأعوانه من المصريين الذين كانوا يبذرون الأموال والمواعيد فى الصف ، وممن اشتهر بالخيانة (على يوسف) الذى خدع عرابى من جهة القناة أولا وجهة التل الكبير ثانيا ، حيث كان رئيساً للسوارى فى المقدمة ففتح الطريق للجيش الانجليزى ومكنه من مباغتة الجيش المصرى

(٣) اعتداد عرابى بوعود (دسلبس) المتكررة عن عدم تعرض الانجليز للقناه واهماله تحصينها فلما رأى الانجليز صعوبة الهجوم من كفر الدوار حيث أقيمت استحكامات منيعة ، أو من جهة النيل ، قرروا احتلال القناه وانزال جنودهم بالاسماعيلية وقد نجحوا فى خطتهم لأن عرابى ترك منطقة القناة ورائه

(٤) نكث السلطان بوعوده ، فطعن الثورة فى ظهرها بعد أن كان أول مشجع لها ، ذلك أن (دوفرين) مندوب انجلترا فى الاستانة دفعه إلى اعلان عصيان عرابى فى منشور ووزع بالآلاف على صفوف الجيش المصرى فكان من عوامل أضعاف المقاومة

---

(١) (بيان) ـ كتاب خلع الخديو

(٢) مراجع هذا الفصل كتاب الاستاذ محمد صبرى في تاريخ مصر الحديث .

الانكليز فى مصر

لم «١» يقولوا أنهم دخلوها فاتحين أو مستعمرين ،بل زعموا أنهم ماجاءوا إلا ليحموا العرش من الخارجين عليه ، وليضمنوا لدائنى مصر أموالهمفطا نوا الأجانب من ناحية ، ومشوا بالوقيعة من أول يوم بين العرش والحركةالوطنية وجعلوا خذلان الحركة الوطنية ولاءاً للعرش ، ومؤدى هذا أن الخيانة تصبح إخلاصا وإن البلاد تنقسم قسمين كلاهما فى جرح شديد ، قسم فيه الوطنيون وهؤلاء متهمون فى ولائهم للخديو لاسبب سوى أن الحركة العرابية تطورت إلى خلاف مع الخديو بفضل الدس الانجليزى ويلاحظ أن الانجليز وزعوا أنفسهم على المعسكرين ، فالرجال الرسميون منهم كانوا يحرضون الخديو على المقاومة ويعدونه المعونة عند الحاجة ، والرجال الذين ليست لهم صفة رسمية كانوا يشجعون العرابيين ويؤيدونهم علانية ، بأقلامهم وبالمساعى التى يزعمون أنهم يسعونها فى سبيلهم حتى وقعت الواقعة وكان ما أراد الانجليز أن يكون .

والقسم الثانى فيه المخلصون للخديو والاخلاص معناه مناوأة الوطنيين أو على الأقل الابتعاد عنهم ، واتقاء الإتصال بهم ، ومجافاتهم ، وإلا عدهم الانجليز ممن لا يؤمن جانبهم ولا يوثق بهم .

أهداف الاحتلال الانجليزى

(١) قتل الشعور الوطنى وتشريد الأحرار .

(٢) استغلال البلاد استغلالا تاماً وحرمان أهلها منها .

(٣) استثمار رؤوس الأموال الأجنبية فى عقود المقاولات والشركات والرى والتأمين والمصارف وقناة السويس .

---

(١) ابراهيم عبد القادر المازنى ـ مسامرات الجيب

(٤) فرض القوانين والقيود على الصحافة والاجتماعيات والهيئات .

(٥) العمل على تسميم عقليات الشعب .

(٦) تشجيع الجهل ، ومحاولة حجز الشعب فى براثن الفقر ، والحرص على فتك الأمراض به .

(٧) تسويد جبين الحياة المصرية بالشر والاثم ؛ ونقل الجانب الداعر من الحضارة لقتل الأخلاق والرجولة ومعالم القوة وهلاك الأموال .

(٩) أصلح الانجليز نظام الرى ليس لخير هذا الوطن وإنما لتشجيع الزراعة دون الصناعة وحرمان الفلاح من الاصلاح والتربية وإبقائه جاهلا فقيراً مريضاً وبهذا كله يظل المستعمر فى أمان من المخاوف .

دوفرين — ودستور الاحتلال

استدعى الانجليز (دوفرين) هذا الطاغية الاستعمارى الظالم ، ليضع فى مصر أسس المستقبل ، وليكبل هذا الوطن بالقيود والأغلال ، ومن العجيب أن هذه القواعد التى وضعها هذه الداعية الاستعمارى المجرم ما تزال هى أسس معاملة انجلترا لمصر والشرق إلى الآن .

وهذا مرجز من تعليماته :

(١) السيطرة التامة على الرأى والأمن فان الرى هو عماد الحيوية فى بلد كمصر ، فالسيطرة عليه تحرم البلاد من ثماره ، أما الأمن فهو العلة الكبرى التى يتعلل بها الاستعمار فى وقف حركات الشعور الوطنى .

(٢) ضرورة الاستعانة بالانجليز (لتمدين مصر وترقيتها !) سردار الجيش ، ومفتش عام البوليس ، والنائب العام للمحاكم الأهلية ، ومفتش عام الأشغال ، والمستشار المالى ، (وإلى أن يوجد من المصريين من يؤدى هذه المهام) يحتلها موظفون انجليز .

(٣) حل الجيش المصرى الباسل (٥٠ ألف مقاتل) ويكون جيش من ٣ آلاف على الوضع الانجليزى البحت لمدة عشر سنوات ، كما حطم الأسطول

المصرى وبيعت سفنه ولم يبق إلا سفن النزهات ومدافع رمضان ! وعطلت المدرسة الحربية وألغى الحوض المعد لاصلاح السفن .

نوايا انجلترا فى احتلال مصر

(١) هزم المصريون الانجليز فى مارس ١٨٠٧ وأرسلوا عدداً من رؤوس القتلى على أسنة الرماح إلى القاهرة ، ولا يمكن لمؤرخ منصف أن ينسى جهاد (عمر مكرم) هذا الزعيم الشعبى الذى بث فى الشعب روح القوة والعزة الاسلامية والحفاظ على الكرامة والعرض .

(٢) وقد أسرها الانجليز لمحمد على حتى جاء (بالمرستون) الذى كان يحقد على محمد على ويحارب اطماعه ويشوه جهاده ، فحاول القضاء عليه بمعاهدة ١٨٤٠ .

(٣) ومن هذه الصورة الصغيرة ترى أن انجلترا كانت تكن هذه الرغبة فى احتلال مصر لولا قوة مصر ودفعها لجيوش انجلترا سنة ١٨٠٧ وقد ظهرت هذه النية الآثمة فى محاولاتها مع محمد على وحد سلطانه وتوسعه ، ومع اسماعيل فى تسهيل الاستدانة له والسيطرة عليه ووضحت جيدا عندما اختلف عرابى والخديو ـ قبيل الثورة العرابية ـ حتى كان الثورة الوسيلة الأخيرة لفرض سلطانها على مصر

(٤) حاولت انجلترا غزو مصر ثلاث مرات ، وقد أخفقت مرتين ونجحت فى المرة الثالثة ومعنى هذا أن انجلترا كانت تستعد لذلك منذ سنة ١٨٠١ عندما أرسلت الحملة الأولى لاخراج الانجليز فلما ردوا مهزومين ، اتفقوا مع محمد أبو الذهب وعلى الألفى وحاصروا مصر سنة ١٨٠٧ فهزمهم الشعب هزيمة منكرة ـ كما بينا ، أما فى سنة ١٨٨٢ ، وبعد أن وصلت مصر تحت ضغط الأزمات الشدائد إلى الحالة التى فرضت فيها أوربا سلطانها على شئون مصر ، فقد انتهزت انجلترا فرصة خلاف الوزارة مع الخديو فأرسلت أسطولها وخربت الاسكندرية فى ١١ يولية ١٨٨٢

(٥) ومعنى هذا أن انجلترا قد أصرت على احتلال مصر ثمانين عاما حتى مكنت لها الفرص من فرض هذا الاحتلال على قلب الأمة ، فاعتدت به على

أبسط حقوق بنى الانسان وعلى كرامة الأوطان وأصحابها وقد كانت حركات الضغط التى لقيها محمد على ثم لقيها اسماعيل ، وحصر سلطان الأول فى الزحف إلى البحر الأبيض والثانى فى الزحف إلى أعماق أفريقيا دليل قاطع على الخوف الكامن فى نفس الانجليز من إقامة دولة اسلامية قوية ترث تركيا .

(٦) وقد حاصر الانجليز الشواطىء المصرية سنة ١٨٠١ . وتدخلوا فيما بين تركيا وفرنسا ، لا لينصروا تركيا على فرنسا كما يتبادر إلى الذهن ، وإنما ليضعوا أيديهم على مصر ، فلما نكبت مصر بحفر قناة السويس زاد موقف الانجليز حدة وخوفهم شدة فبدأوا يفرضون سلطانهم مستغلين ضعف توفيق ، وسلموا لفرنسا بإطلاق يدها فى المغرب حتى لا تجد انجلترا من يقف أمامها فى مصر وقد ظلت مصر إلى سنة ١٩٠٤ تظن أن فرنسا تناصرها على انجلترا ، إلى أن تكشف لها أن الاستعمار أمة واحدة ، وأن خصومة فرنسا مع انجلترا لم تكن كراهة للاستعمار أو إبقاء على الحريات الإنسانية أو الكرامة المصرية ، وإنما كان ذلك تنافساً على السيادة ، وبسط السلطان ، ولذلك أمثلة كثيرة أقربها موقف واسن من القضية المصرية بعد أن أعلن مبادىء الحرية وتقرير المصير فى أعقاب الحرب الكبرى الأولى ، فلما فرح بها المصريون أعلن بأنها لا تنطبق عليهم وأنهم عبيد لانجلترا والعياذ بالله مما ستفصله فيما بعد .

(٧) أما فى المرة الثانية فقد هزمت الحملة الانجليزية شر هزيمة عند (رشيد) وقتل منهم ٤١٦ وأسر ٤٠٠ وطلبوا الدخول فى مفاوضات للصلح على قاعدة الجلاء ، وانتهت بعقد معاهدة ١٤ سبتمبر ١٨٠٧ بجلاء القوات الانجليزية عن الاسكندرية خلال عشرة أيام من تاريخ التوقيع على المعاهدة .

حجة الاحتلال الباطلة

(١) ظل مركز انجلترا فى مصر باسم تثبيت عرش الخديو ، فلما جاءت الحرب الكبرى الأولى ـ أعلنت الحماية ، ثم تشبثت انجلترا بمصر باعتبارها الخط الحيوى إلى الهند وباعتبار مصالحها فى مصر تستدعى البقاء ، ولم يكن مركز

الاحتلال فى يوم من الأيام شرعياً لأنه لايستمدوجوده من معاهدة أو إتفاق ، بل هو قائم على أساس الغصب والعدوان .

٢ — النصائح الالزامية (تلغراف جرانفيل)

« إن الوزير المصرى الذى لا يخضع لإرشادات الممثل البريطانى عليه أن يستقيل من منصبه وأن حكومة جلالة الملكة لواثقة من أنه إذا اقتضت الحال استبدال أحد الوزراء فهناك من المصريين سواء من شغلوا منصب الوزارة أو شغلوا مناصب أقل درجة ، من هم على استعداد لتنفيذ الأوامر التى يصدرها إليهم الخديو بناء على نصائح حكومة جلالة الملكة »

آثار الاحتلال

(١) فرضت انجلترا سلطانها على الخديو والحكومة وزعماء الثورة والكبراء وجمهرة الشعب .

(٢) استعانت لتثبيت قواعد الاحتلال بكل الوسائل (مذكرة دوفرين - تهديدات جرانفيل - سلطان كرومر - إخلاء السودان وتمزيقه - صنائع الاستعمار فى مصر كنوبار ومصطفى فهمى وغيرهما .

(٣) منهاج دنلوب (١) فى التعليم الذى يرمى إلى إخراج موظفين يوالون الاحتلال وينتظرون العلاوات ويلتمسون الزلفى .

(٤) التأثير على الناس بالمصالح وعلى الأعيان والكبراء بالنفعية لموالاة الاحتلال والرضى به والدفاع عنه ، وتقديم هدايا للغاصبين من القواد الانجليز .

(٥) هدم الأخلاق الإسلامية ، ومحاولة إماتة العزة فى النفوس فسهل

---

(١) مسخت برامج التعليم واستبعد تاريخ العزة والوطنية عن المناهج بل زيد على ذلك بأن علم النش أن مصر بلد مستعمر بطبعه ما زال يتنقل بين استعمار الرومان إلى العرب إلى الاتراك إلى الفرنسيين إلى الأنجليز .

الهوان وانتفت عوامل الخير كله فعم الفساد وماتت الضمائر وفشا الجبن والنفاق وبدأت عوامل الشهوات والمغريات التي جلبتها الحضارة الاستعمارية تفتك بالنفوس، ومسخ الاحتلال الانجليزي نفسية الأمة وأفقدها روح الحمية والعزة والقوة

(٦) وصل الهوان إلى حد ان الاحتلال الانجليزي اعتاد أن يقيم احتفالا عاما أمام ساحة عابدين بعيد الملكة فكتوريا وبرئاسة كرومر .

(٧) ألغى الدستور وسلخ السودان وعوملت الصحافة بعنف .

(٨) أغلقت المصانع المصرية والمنسوجات المصرية وأدخل الانجليز إلى الأذهان أن مصر بلد زراعي يخرج المحاصيل لتصدر إلى انجلترا ثم تعود من مصانع ما نشستر أقمشة ومنسوجات ، وقد حوربت الصناعة القطنية في مصر بأن أغلقت معامل القطن ونسجه برفع الضريبة عليها .

(٩) سيطر الانجليز على مالية البلاد بتعيين مستشار مالى ، أضف إلى ذلك الامتيازات الأجنبية والمحاكم المختلطة ، وسلطان صندوق الدين ، وساءت حالة الشعب المالية إلى أبعد حد ، وبلغت رؤوس الأموال الأوربية التي أنشأت بها شركات في مصر حوالى ٦٣ مليونا كانت تغل ربحا سنويا حوالى ٣ ملايين جنيه من دم المصريين وقد وصلت هذه الأموال حوالى ١١١ مليون جنيه عام ١٩٠٤ وثقلت الأملاك المصرية بالديون .

من الاحتلال الى الثورة

١٨٨٢ - ١٩١٩

(١) من ١٤ سبتمبر ١٨٠٧ تاريخ هزيمة فريزر إلى ١٤ سبتمبر ١٨٨٢ تاريخ نصر سيمور كانت انجلترا تترقب الفرص الاحتلال هذا الوطن العزيز ، وقد كانت خطة تشجيع اسماعيل على الاستدانة وشراءها أسهم قناة السويس وانتهازها فرصة الخلاف بين الخديو والوزارة فرصا انتهزتها لتثبيت قواعدها فى مصر باسم حماية عرش الخديو ثم باسم حماية المصالح الانجليزية .

التاريخ الأول هو تاريخ القوة والعزة، يوم هزمنا جيوش انجلترا هزيمة ساحقة والتاريخ الثانى هو تاريخ انهزامنا أمام جيوش انجلترا وهو أسود يوم فى تاريخ مصر يجب أن نذكره فلا ننساه أبداً ونجعله نبراساً لهذا الشعور الدافق من الوطنية والإيمان بحقوقنا والعمل الدائب الدائم لتحقيق الحرية والجلاء ووحدة وادى النيل .

* * *

(٢) من سبتمبر ١٨٨٢ - إلى مارس ١٩١٩ هذه صفحة أخرى من صفحات تاريخ مصر ظهرت فيها عوامل مختلفة وصور متباينة وتستطيع أن تسميها فترة النضال بين الوطنية والاحتلال ، نضالا كان عنيفا استعملت فيه كل الأسلحة ، عملت فيه مصر وشبابها وزعماؤها على إعلاء صوتها فى كل مكان ، وعرض قضيتها فى كل قطر ، وإذاعة ظلمها فى كل صقع ، وإبراز حقها ، وتأجيج نار العزم والقوة والوطنية والكرامة فى قلوب الشعب وتأريث ضرام الحماسة والإيمان بالحقوق فى الطبقات المختلفة ، عاون عليه تلك الظلامات البارزة الداوية التى قذفها الغاصب ، فكانت وقوداً لهذه النار .

وعمل فيه المحتل بكل وسائله ليجذب إليه فريقا من الأمة ، يغريه بالنضار والمناصب والألقاب ويستغل فيه ضعف الايمان وعجز النفس عن التحرر من

قيودها الشريرة لخلق هذه الطبقة العجيبة أمثال فتحى زغلول والهلباوى وبطرس غالى، ومصطفى فهمى، ومحمد سعيد وأمثالهم هؤلاء الذين شاركوا المحتلين فى إجرامهم وفى عدوانهم، فى دنشواى وفى الحكم وفى اتفاقية السودان وفى غير ذلك ولكن الحركة الوطنية لم تزل تعمل فى جد وصرامة وقوة وإيمان ينتقل لوائها من مصطفى إلى فريد ويعمل حولها فريق من المخلصين العاملين حتى تمتلا النفوس حماسا وعزمه، وما يزال الغاصب يضيق على الشعب ويكبت شعوره ويستهين بحيويته الدافقة، ويقظته الداوية، حتى ينفجر هذا المرجل ويدوى بالثورة العارمة القوية (ثورة ١٩١٩) هذه الثورة التى لم يقم بها زعيم وإنما قام بها الشعب وقادها الشعب ونظمها الشعب فى عزيمة وإيمان وإمداد ونضال، كان لا يخشى معه ضربات الرصاص ولا هجمات البوليس ولا لوريات الانجليز، واشتركت فيها طبقاته جميعها، ولبت نداءها جميع الجهات والبلاد والأقاليم والعزب والكفور والدساكر ... فكانت ثورة شاملة أقضت مضاجع الغاصبين وأشعرتهم بأن فى قلب هذا الوطن ناراً تلظى عليهم.

(٣) بدأت الضربات الاستعمارية الانجليزية بارسال (دوفرين) لوضع دستور الاحتلال ثم تلاه قدوم رجل مشئوم تربى فى جو العبودية بالهند لينفذ تعليمات دوفرين هو كرومر الذى كان له السلطان الفعلى فى مصر من (١١ - ٩ - ١٨٨٣ — إلى عام ١٩٠٦) أى ربع قرن، كان له فيها من النفوذ والسيطرة ما يجعله فى مقام نائب الملك أو الحاكم العام فى المستعمرات وقد تضاءلت بجانبه كل سلطة وطنية عاصر فيها توفيق وعباس.

(٤) كان سلطان الانجليز فى مصر ممثلا فى جيش الاحتلال ونفوذ الوكالة الانجليزية والمستشارين الانجليز وقد أدى ذلك إلى تدخلهم فى كل تصرفات الحكومة المصرية، وفرض ذلك والمجاهرة به فى تهديدات (١) جرنفيل) واعتبار مصر دولة محتلة لا رأى لها ولا حرية فى تصرفاتها، وكان المستشار الانجليزى يشهد كل اجتماعات مجلس النظار، ولا يبرم أمر دون مشورته.

(٥) استعمل الاحتلال أشد ألوان العسف والنكال والظلم وظهرت أحكام

---

(١) ص ٦٩

السخرة والكرباج والضرائب المرهقة وتهديد الخديويين والسلاطين بالنفى والخلع ورأى عباس أن هناك سلطان آخر له سطوة قويه تتضاءل أمام سطوته ، هو صاحب السيادة الفعلية على البلاد ، ومعه جيش الاحتلال والرؤساء المشرفين على مصالح الحكومة .

(٦) استعملت انجلترا كل ألوان القمع والارهاب والتشريد والنفى وطعنت حركة مصطفى كامل بالتعصب الاسلامى ضد أوربا المسيحية وعداوة الأجانب لتؤلب الدول عليه ولتقف فى صفها ضده مما أدى بعد ذلك إلى عقد الاتفاق الودى ١٩٠٤ بين انجلترا وفرنسا ومن ثم تركز سلطان انجلترا فى مصر وإزداد عسفها وإجرامها .

(٧) شكلت وزارات الاحتلال من صنائع انجلترا المسلمين لها بكل ما تطلب (نوبار ١٨٧٤-١٨٨٧) رياض (١٨٨٨-١٨٩٠) مصطفى فهمى (١٨٩١-١٨٩٢) الأولى ثم من (١٨٩٥-١٩٠٨) وهى أسود أيام الاحتلال وأسوأ صفحاته ولا عجب إذ يقول الأستاذ الرافعى أن (مصطفى فهمى هو الرجل الذى لم يجد الانجليز أطوع ولا أخلص لهم منه بين رجالات مصر وكان عهده هو أوج السلطة للاحتلال الانجليزى) وعليك أن تلاحظ أنه صهر سعد زغلول ، ووالد (أم المصريين) ! ثم تلاه بطرس غالى (١٩٠٨ - ١٩١٠)

ويكفى أن يكون عهد مصطفى فهمى هو العهد الأخير الذى وقعت فيه مأساة دنشواى ووقعت فيه اتفاقية السودان .

مصطفى كامل ١٨٩٥ - ١٩٠٨

(١) الصوت الأول للوطنية فى مصر بعد الاحتلال الانجليزى الذى أذاع القضية الوطنية ودعا لها فى كل مكان ، وأثار الشعور الوطنى والهبة بالحماسة البالغة ، والبلاغة الدافقة التى كانت وسيلته فى الخطابة والكتابة .

(٢) ارتبط بالخديو عباس واتجه إلى مصادقة فرنسا لمناوئة انجلترا لما بينهما من خصومة ، فقد كانت فرنسا ثائرة على انجلترا لأنها أضاعت سلطانها

من مصر ، هذا السلطان الذى تدعى أنها كسبته منذ الحملة الفرنسية وأيام محمد على وسعيد ، فضلا عن أن سلطانها تقلص أيضا فى كل مكان وصلت إليه انجلترا كالهند مثلا ومحاولة مصطفى الاستفادة من هذه السياسة بمطالبه انجلترا بتنفيذ وعودها بالجلاء عن مصر ، ولاشك أن هذا كان من نقط الضعف فعلا ، إذ أن الدول الأوربية بلاشك كلها دول استعمارية وأن فرنسا لا تقل رغبة فى سحق الوطنيات والحريات فى الأمم من انجلترا وأن خصومة فرنسا مع انجلترا قائمة على حرمانها من حقها فى الاحتلال والاستعمار والمطامع التى كانت تنتظرها فى مصر ولكن هذا لا يقلل من مجهوده الكبير .

(٣) جعل من أوربا ميدان نشاطه السياسى واستعمل الخطابة والكتابة بالعربية والفرنسية والسعى عند دول أوربا وتنقل بين باريس وبرلين وفينا والاستانة ، واتصل علنا بالخديو مما زاد العلامات بين الخديو وكرومر توترا .

(٤) اتخذ التدعيم الداخلى أساساً هاماً فى حركته الوطنية فهو أول من فكر فى نشر العلوم والمعارف وفتح المدارس (١) وأنشأ الصحف بالعربية (٢) والفرنسية للدعاية للقضية الوطنية .

(٥) سياسة مصطفى كامل كانت ترمى إلى توثيق عرى الروابط بين مصر وتركيا باعتبارها دولة الخلافة الاسلامية وحتى لايثير عليه تركيا وانجلترا معاً فيتفقان ضده فيفسدان خطته وجهاده ، وقد اتهمه الانجليز بالتعصب الاسلامى وكراهية الأجانب والمسيحية وقد كان هذا من مفترياتهم التى ألبوا بها الدول عليه وأحرزوا بها الاتفاق الودى سنة ١٩٠٤ مع فرنسا ، هذا الاتفاق المشئوم الذى ذبحت به مصر والمغرب ووكلت حرية هذا الذبح لانجلترا فى مصر ولفرنسا فى المغرب .

(٦) وقف فى وجه قاسم أمين ودافع على الخلق الاسلامى ، ودعا إلى المحافظة على الاعراض حتى أتهم بالرجعية واستعمل أساليب الحماسة الملتهبة

---

(١) المدرسة سنة ١٨٩٩

(٢) اللواء ٢ يناير ١٩٠٠

والايمان الواثق وكان أسلوبه الوجدانى جديدا فى ميدان الوطنية فاكتسب أنصاراً كثيرين

(٧) وقف من حادث دنشواى موقفا مشرفا ، هز العالم الغربى هزا ، وكشف للغرب عن مدى اجرام انجلترا وقال (الحق إنه لم يرتكب فى التاريخ الحديث فظاعه تعدل فظاعة تنفيذ حكم دنشواى) والحقيقة أن هذا الحادث أفاد كثيرا حتى يقول الثقات من مؤرخى الحركة الوطنية أن عشرات السنين كانت أقصر من أن تحيى شعور الشعب كما أحياه هذا الحادث

(٨) عرضت عليه الوزارة سنة ١٩٠٦ فرفضها لأنه يعلم أن مستشارى الحكومة المصرية من الانجليز هم الوزراء الحقيقيون ولا شك مطلقا فى أن تهيئه الشعور الوطنى الذى أيقظه وحمسه وركزه (مصطفى) وفريد من بعده كانت أول الارهاصات وأكبر العوامل فى ثورة سنة ١٩١٩

الخديو عباس

(١) كان يكره الانجليز ويحاول أن يقف من القضية الوطنية وقفة قوية وقد كتب فى مذكراته أنه اعتمد على ضباط الجيش أولا ولذلك ظل متخذاً اللباس العسكرى مدة طويلة فلما أفلت الضباط بانضمامهم للماسونية التى كان يراسها السردار الانجليزى تحول إلى الشباب فلبس الثياب المدنية وقرب مصطفى كامل ولجنته السرية ولكن ويا للأسف لم يستمر على ذلك بل انقلب على مصطفى كامل وناوئه ، بعد أن استقال كرومر وعين الدون عورست سنة ١٩٠٧ واتخذ سياسة جديدة

(٢) وسر هذا الانقلاب أن الخديو عباس كان يخيل اليه الاحتلال الانجليزى (قصير (١) العمر) ولذلك وجه اليه الضربات المتواليه مؤملا التخلص منه فى جوله أو جولتين فلما أدرك أن الصراع سيطول وأنه يجب ادخار قواه ما أمكن

---

(١) مؤرخ مصرى كبير

حتى يتيسر له مواصلة القتال) انتهى ذلك يقطع صلته بمصطفى كامل

(٣) حلت بعد ذلك سياسة الوفاق بين عباس والمعتمد الانجليزى الجديد الدون عورست ١٩٠٧ فحلت محل سياسة الخلاف والمشادة التى كانت قائمة بين الخديو والاحتلال فى عهد كرومر فحوربت الحركة الوطنية من السلطة الفعلية ممثلة فى عميد الاحتلال والسلطة الشرعية ممثلة فى الخديو والوزارة

وزارة مصطفى فهمى

صنيعة الاحتلال الأول فى مصر

(١) تولى الوزارة من (١٨٩١ - ١٨٩٢) ثم أعيد إليها فى نوفمبر ١٨٩٥ فمكث بها إلى نوفمبر ١٩٠٨ أى ثلاثة عشر عاما كانت من أشد الأيام على مصر والقضية الوطنية . وسر ذلك أن فكرة (إعادة مصطفى المشهور بولائه للاحتلال عرضت من الخديو على كرومر الذى كان لا يفتأ يتحين الفرص لعودة مصطفى فهمى إلى رئاسة الوزارة ، لأن الانجليز لاينسون صنائعهم . وهى وزارة الاستسلام المطلق للانجليز وقد بقيت فى الحكم حتى نوفمبر سنة ١٩٠٨) (٣١٥ ص - عبد الرحمن الرافعى فى كتاب مصطفى كامل)

(٢) اثارة واثامه

(١) إنشاء البنك الأهلى (أهلى شكلا واجنبى فعلا) ومؤسسوه الرأسماليين الانجليز

(٢) باع البواخر المصرية بأبخس الأثمان إلى شركة (الن والدرسن) الانجليزية وعددها ١١ باخرة وكانت تنقل المصريين من مختلف البلاد إلى الثغور وقد قدرت بمبلغ ٣ ملايين جنيه وبيعت بمبلغ ١٥٠ ألف جنيه وبذلك قضى على الأسطول المصرى البحرى

(٣) باعت الحكومة ٣٠٠ ألف فدان من أملاك الدائرة السنية إلى إلى شركة سوارس مقابل ٦٫٤٠٠٫٠٠٠ جنيه

(٤) لن يسجل التاريخ فى صفحاته عاراً أشد سواداً من صفحات مصطفى فهمى الذى كان أشد الحكام خضوعاً للانجليز ، وقد كان من أصدق أنصار الاحتلال وأخلص الناس له ، بل لقد تغنى بفضل الانجليز على مصر فقال عن انجلترا المجرمة (اننا مدينون لها بثروتنا وسعادتنا وهنائنا ...)

أى ظالم متعسف هذا ... وما مكانه فى التاريخ وفى القائمة السوداء ..؟

(٥) فى عهده وقعت مأساة دنشواى ، ووقعت اتفاقية السودان وأنشأ حزب الأمة وتم توقيع الاتفاق الودى بين فرنسا وانجلترا فازداد نفوذ انجلترا وطغيانها فى مصر وحارب الخديو الحركة الوطنية واحتفل بوادع كرومر الذى سب المصريين ورماهم بالجهل والغباء ومدح مصطفى فهمى ونوبار وسعد زغلول وبطرس غالى .

دنشواى سنة ١٩٠٦

(١) كان هذا الحادث الذى أدى الى اصطدام الانجليز بالشعب والى تأليف اللجنة المخصوصة برئاسة بطرس غالى والى صدور وتنفيذ (هذا(١) الحكم الجائر الذى يعتبر مثلا من أمثلة البربرية والوحشية فى أشد عصور الانسانية ظلاما والذى أعدم بموجبة أربعة وجلد ثمانين إمام أنظار أهل دنشواى المفجوعين فى أهليهم وعائليهم ، عدا الذين زجوا فى غيابات السجون) .

(٢) وقد أرسلت السلطة الانجليزية المشانق قبل أن تصدر الحكم واصطنعت بطرس وأمثاله(٢) ، لتقرير هذه الأحكام الجائحة وتنفيذها . وإن كان بعض المؤرخين يدافع عن بطرس غالى لأن أغلبية أعضاء المحكمة كانوا انجليز فان الشرف الوطنى والكرامة المصرية كانتا تقضيان عليه بأن يتنحى مهما أصابه من وراء ذلك ، ذلك لأن الأمر أمر قضاء وعدالة قبل كل شىء ، وهذا أسلم من حكم التاريخ القاسى عليه اليوم .

---

(١) (الدكتور هيكل ص ١٣٢ تراجم)

(٢) اشترك فى هذه المأساة (احمد فتحى زغلول ، الهلباوي ، مصطفى فهمى .)

وفى هذا يقول الدكتور هيكل (هذا الدفاع لا ينهض حجة لتبرير عمل بطرس باشا إلا إذا كان هو معتقدا عدالة الحكم الذى أصدره ، وإنسانية تنفيذه . . . ذلك بأن الرجل الذى يجلس رئيسا لهيئة قضائية يعهد اليها تطبيق العدل يجب أن لا يخضع لصوت غير صوت الضمير ولا لاعتبار غير اعتبار العدل المجرد من كل هوى) .

وأن مصر التى تراجع تاريخها اليوم ، وتذكره حرفا حرفا ، لا تنسى أبدا ما فى هذا الحادث من وحشية وإجرام من الانجليز الذين يدعون أنهم أهل مدينة وحماة حضارة ، حتى أن مثل هذه الفعلة الشنعاء لم تمر قط ولا فى تاريخ العصور الوسطى التى وصل فيها الاستبداد والاجرام حده من العنف ووصل فيه الطغاة أبعد حدود الظلم وأبلغ صور الطغيان .

(٣) وأن صفحات الجلد(١) والشنق هذه لن ينساها المصريون ، هذه الصفحات السوداء التى يجب أن تظل أمام خاطرنا تؤجج فى قلوبنا الحقد الدفين والكراهة المتصلة بهذه الأمة الظالمة الطاغية التى أقامت سلطانها على

---

(١) محاكمة دنشواى من أسوأ الصفحات العالية في تاريخ الانجليز ، فقد حكموا على البرءآء بالاعدام والاشغال الشاقة المؤبده والجلد ، ونفذوا احكامهم في قلب القرية وبين ظهرانى اهلها ، شنقو من قضى عليهم بالشنق امام اهليهم وأولادهم ونصبوا لذلك حلقة احيطت بالجنوش الانجليزية على الخيول شاهرة سيوفها ، وكانوا يتركون المشنوق معلقا حتى يجلدوا اثنين من المحكوم عليهم بالجلد ، وضج العالم الغربى لهذه المأساة الدامية ، وكتب مصطفى كامل مقاله قاسية نارية نشرتها الصحف الفرنسية وصحف العالم فكشف عن شرور الانجليز واستهتارهم بالمصريين . أي بشاعة بعد ذلك وأى ظلم وأى تعسف أيها الناس ؟ أيمكن ان تنسى هذه الصفحة الدامية فى تاريخ مصر وتضيع من ذاكرتنا وقلوبنا هذه الصورة من الانتقام الدنىء والظلم الجرىء بأخوتنا فى الوطنية والدين وفى هذا يقول حافظ ابراهيم :

خفضوا جيشكم وناموا هنيئا ... وابتغوا صيدكم وجوبوا البلادا
واذا أعوزتكم ذات طوق ... بين تلك الربا فصيدوا العبادا
إنما نحن والحمام سواء ... لم تغادر أطواقنا الأجيادا
جاء جهالنا بأمر وجئتم ... ضعف ضعفه قسوة واشتدادا
أحسنوا القتل ان ضننتم بعفو ... أقصاصا أردتم أم كيادا
أحسنوا القتل ان ضننتم بعفو ... أنفوسا أصبتم أم جمادا
ليت شعرى أتلك محكمة التفتيش ... عادت أم عهد نيرون عادا

المسف والاجرام ، ولقد هوى هذا الحكم بكرامة هذه الدولة بين دول أوربا وعصف بمركز مندوبها فى مصر ، ذلك الاستعمارى المجرم كرومر ، وطبيعى أن انجلترا قد أحست بما فى هذا الحكم من قسوة وتعنت فبدأت مناورة جديدة أعلنت فيها أنها لا تؤيد عميدها فى مصر مما اضطره الى الاستقالة فى مارس سنة ١٩٠٧ .

الاتفاق الودى

(١) لما تم عقد الاتفاق الودى بين انجلترا وفرنسا سنة ١٩٠٤ زاد مركز الانجليز فى مصر قوة وحدة ، فلم يكن(١) أمر ما بالغة ما بلغت تفاهته ، يبرم أو ينقض من غير غير قرارهم عن طريق موظفيهم الذين احتلوا كل مناصب الدولة الرئيسية والذين كانت لهم الكلمة النافذة على الموظفين المصريين مهما يكن منصب الانجليزى منهم صغيرا ، .

كرومر الطاغية

(١) سلب الحكومة والوزارة كل وجود ونفوذ وحياة ، وحرم الفقراء من التعليم فى المدارس ، وحارب اللغة العربية وطعن على الاسلام ، وقاوم الحركة الوطنية وأنكر كفاءة الأمة وقتل العواطف الوطنية بالمال والألقاب واصطنع (دنلوب) أسلوبه المشهور فى هدم التعليم الاسلامى والوطنى ، وتثبيت أقدام الاحتلال فى مصر وعمل على جعلها مستعمرة انجليزية ، كما أنه فتح السودان برجالنا وأموالنا ثم جردنا من كل حق وسلطة فيه وأرغمنا على توقيع اتفاقية ١٨٩٩ الباطلة الظالمة .

(٢) أقام له بعض الأذناب عند سفره من مصر ١٩٠٧ حفلا كبيرا حضره مصطفى فهمى وسعد زغلول وغيرهم من أصدقاء الانجليز ، وقد خطب فيه فسب

(١) الدكتور هيكل (تراجم ص ١٣١)

المصريين ورماهم بالجهل والغباء وقال انه يؤمل فى الجيل الجديد أن يفهم مدى خدمات انجلترا لمصر وقال (إن أولاد العميان يولدون عادة مبصرين) وقال إن الاحتلال سيدوم الى ماشاء الله وأنه ـ أى الاحتلال ـ مادام باقيا فانجلترا مسئولة عن الخطة التى تجرى بها الادارة المصرية وامتدح مصطفى فهمى وبطرس غالى وسعد زغلول وقال عن مصطفى فهمى (انه خدم بلاده بالطريقة المعهودة من السكينة والهدوء)

حزب الامة

(١) فى سنة ١٩٠٧ أعلن معتمد انجلترا أنه يجب أن يوجد بجوار الحزب الوطنى المتطرف فى آرائه أحزاب أخرى (معتدلة) ! تسعى (للتفاهم) ! مع انجلترا وتلقاها فى منتصف الطريق وقد نشأت على أثر ذلك عن أحزاب ، وفى مقدمتها حزب الأمة الذى أسسه كرومر بنفسه والذى كان من أعضاءه سعد ـ على شعراوى ـ عبد العزيز فهمى ـ أبطال المعاهدات وأبطال (عيد الجهاد ! ١٣ نوفمبر سنة ١٩١٨) وقد اندثرت هذه الأحزاب فلم يكتب لها البقاء وإن كان بعض أنصارها الذين آمنوا بتعاليم كرومر ، حققوا هذا الامل فيهم بعد ثورة ١٩١٩ فكان هذا الشعور الجديد المضاد لشعور الأمة والذى خلق فكرة (الصداقة الانجليزيه) وآمن بها والذى رمى الى التفاهم معهم والاتفاق والمساومة على حقوق الوطن والذى وثق كثيراً بدعوتهم المضللة الكاذبة ورأى أن المفاوضات هى الطريق الوحيد لنيل الحقوق ، والذى اتخذ قاعدة حسن الظن بالانجليز وسيلة إلى ارتقاء كراسى الحكم حتى جرأ الانجليز بعد ذلك على ارسال إنذار مسلح فى ٤ فبراير بطلب تشكيل وزارة معينة من فرد معين .

ولقد كان لهذا الحزب من بعد أسوأ الأثر فى القضية الوطنية وفى بقاء النفوذ البريطانى ، وفى استمرار وسائل التفاهم والمناورات والمداورات فى الحقوق الواضحة .

الخديو عباس والانجليز

(١) قاوم عباس الانجليز فى أول الأمر فرأى هؤلاء تغيير سياستهم معه بتغيير مندوبهم فأقالوا « كرومر » وأرسلوا «الدون غورست» فى ابريل ١٩٠٧ لسياسة التقرب الى الخديو وقد كان الخديو مؤيدا لحركة مصطفى كامل - كما أسلفنا ذكره - وقد حملت هذه السياسة الانجليزية الجديدة على انفصاله عن تأييد الحزب الوطنى ومعاداته .

(٢) وقد بدأت النهضة الوطنية بالمطالبة بالدستور والجلاء وتقرير سيادة الأمة وبدأت انجلترا تفرض سلطانها بخلق أحزاب جديدة لتضعف من شوكة مصطفى كامل والحزب الوطنى ، لأنهم كانوا يصورون أهداف مصطفى كامل بصورة الجموح والخيال والتطرف .

(٣) وقد بعث الدون غورست قانون مطبوعات ١٨٨٢ ليكمم الصحف ويشل حركة الرأى العام ويصبح له سلطة انذار الصحف وتعطيلها ، وأصدر أيضا قانون النفى الادارى ، هذين القانونين الذين قبل بطرس غالى وسعد زغلول إعلانهما وتنفيذهما ، والذين كان لهما صدى مرآ وقوبلا بشعور كله ألم وأسف لمدى هذا السلطان والقهر والاذلال والتعسف الذى فرضته انجلترا بأيدى صنائعها على البلاد .

بطرس غالى واتفاقية ١٨٩٩

(١) وقعت اتفاقية السودان بامضاء بطرس غالى وكرومر فى عهد وزارة مصطفى فهمى (١٩ - ١ - ١٨٩٩) وقد كانت سبب الحرب بينه وبين الشعب - وكانت حجة ابراهيم الوردانى فى قتله - ولا تزال موضع الذل والعار الأكبر فى جبين مصر ، وذات الأثر السىء فيما يتعلق بوحدة وادى النيل وارتباط مصر والسودان برباط واحد ، ارتباطا يسموا على الأوضاع الاستعمارية التى أسماها

الانجليز « الحكم الثنائى » فى إدارة السودان ، ثم إيقاف حق مصر من هذه الادارة وطردها سنة ١٩٢٤ والانفراد بادارته سعيا وراء فصله عن مصر باسم سودنة السودان ، وتحت ستار « السودان للسودانيين » وقد احتمل بطرس غالى ورئيس حكومته وزر هذه الاتفاقية وسجل التاريخ أن بطرس وقع هذه الاتفاقية ممالأة للانجليز وتفريطا فى حق وطنه .

(٣) رأى رشدى باشا سنة ١٩٢٢ فى اتفاقية السودان « أن مصر لم تقر هذه الاتفاقية برضاها ولم تسلم بها الا مكرهة مقسورة بقوة الانجليز » .

(٤) قتل بطرس غالى فى ٢٠ / ٢ / ١٩١٠ وقد كان مقتله سياسيا لا دينيا سببته الاثار السيئة التى تدفع رؤساء الحكومات إلى ممالئة الاحتلال والانجليز .

سعد زغلول فى وزارات الاحتلال

(١) كان كرومر هو الذى عرض على الخديو تعيين سعد وزيراً للمعارف وقد اشترك فى وزارة مصطفى فهمى وبطرس غالى ومحمد سعيد وحارب الحركة الوطنية ووافق على اتفاقية السودان وإحياء قانون المطبوعات القديم وقدم محمد فريد ـ وهو وزير للحقانية ـ إلى المحاكمة لأنه أثنى على كتاب (وطنيتى) للغاياتى وحكم عليه بالسجن ستة شهور وأثنى عليه كرومر فى حفلة وداعه .

(٢) انسحب سعد من لجنة مشروع الجامعة عقب تعيينه وزيراً للمعارف فهل كان من المسوغ اشتراكه فى مشروع الجامعة وهو مستشار ولا يجوز له ذلك وهو وزير للمعارف .

(٣) سوغ جعل التعليم باللغة الانجليزية ورفض طلب الجمعية العمومية باستبداله بالعربية وقال أننا (إذا جعلنا التعليم باللغة العربية أسأنا إلى بلادنا إساءة كبرى) وكانت هذه أولى خطوات اندماجه فى صفوف الاحتلال .

(٤) كلمه مصطفى كامل (مارس ١٩٠٧) عن سعد زغلول .

إن الناس قد فهموا الآن بأوضح مما كانوا يفهمون من قبل لماذا اختار كرومر لوزارة المعارف صهر رئيس الوزارة مصطفى فهمى الأمين على وحيه ، الخادم

لسياسته ، وفهموا لماذا قامت الصحف الانجليزية والصحف المتحزبة للانجليز ، وذرت الرماد فى العيون ، قائلة أن الوزير الجديد من الحزب الوطنى فى حين أن كل شىء من أحواله وشئونه يدل على شدة ميله إلى السلطة .

فسعد قد فشل فشلا عظيما فى الجمعية العمومية ، ولو كان وزيرا فى أوربا لاستقال فى الحال ولكنه وزير فى مصر يعتقد أن ثقة كرومر به كافية وحدها لحمايته ، الا أن الذين كانوا يحترمون الوزير لماضيه ليأسفون على حاضره كل الأسف) اه

(٥) كان (١) يجمل بسعد وقد كان يتولى الحقانية إلا يأمر بمحاكمة محمد فريد وألا يقر هذه الدعوى ، وهو المدين بمركزه فى الوزارة للحركة الوطنية إذ لولا جهاد مصطفى وفريد فى حادثه دنشواى لما تطورت سياسة الاحتلال هذا التطور الذى كان من أولى نتائجه تعيين سعد المستشار فى محكمة الاستئناف وزيراً للمعارف . . ومن المحقق أن كرومر هو المقترح تعيين سعد زغلول وزيراً للمعارف وهذه واقعة مسلم بها من الجميع .

(٦) كان محمد فريد أحق من زغلول وغيره بقيادة الحركة الوطنية إذ لا يخفى جهاده بعد سلفه مصطفى كامل من سنة ١٨٩٠ ولكن الانجليز كانوا يريدون قوماً آخرين لا يطالبون بالجلاء ولا ينكرون المفاوضة . ولذلك قدم هذا الفريق وسمح له بالظهور بعد ثورة ١٩١٩ فكان سعد زغلول وأعوانه الذين آمنوا بالتفاهم والصداقة الإنجليزية والخصماء الشرفاء المعقولون وقبلوا مبدأ المفاوضة والمجاملة و . . . وكان سعد الذى حارب الحركة الوطنية أيام فريد واشترك فى وزارات مصطفى فهمى وبطرس غالى ومحمد سعيد زعيم هـــذه الحركة الجديدة ؟!

---

(١) الاستاذ عبد الرحمن الرافعى فى كتابه «محمد فريد» ، وينتهز الفرصة فنشكر للاستاذ الرافعى همته العالية وأبحاثه الدقيقة التى تكاد يكون أصدق مرجع لكل مؤرخ وقد إستعنا بها كثيراً فى هذه الفصول .

ثورة ١٩١٩ وما بعدها (١)

شق مصطفى كامل لجو الحياة المصرية بعد الاحتلال بعشر سنوات بنداء جديد، كان فى أيامه سنة ١٩٨٢ عجب أى عجب، فقد حاول الانجليز أن يقتلوا روح الأمة وأن يرغموها على الاستكانة والذل تحت حراب الاحتلال، ومضت الأيام والشعب ينظر فى صفحة السماء فلا يجد نوراً يهديه فيظل يضرب فى تيهاء الحيرة وبيداء الظلام، وقد انصرف الكبراء والعظماء إلى تأييد الاحتلال والرضى به وانتظار مصالحهم فى ظله ومن أيدى الغاصبين الظالمين ومن سار فى ركبهم وتبع طريقهم من المصريين الناكثين ولكن الشعب كان يتوقد ناراً ويتلظى المآ وينتظر الهدى والارشاد.

فكانت صيحة مصطفى صيحة جديدة دوت فى غمار الشعب، ولبست لونا جميلا من العاطفة والحب لمصر والسودان، وتدعو إلى الحقيقة الصريحة الواضحة، التى لا لبس فيها ولا غموض، ولا لف فيها ولا دوران، ولا تفاهم فيها ولا اختلاف، الحقيقة الصادقة البينة (الجلاء ووحدة وادى النيل) وقد كانت هذه الصيحة غريبة حقا فى وقت وضع الاحتلال يده على كل شىء فى مصر، وساق البلد بالكرابيج، إلى تركيز سلطانه، وفى وقت كان (كرومر) يذل أعناق الرجال فى هذا البلد ويهددهم ويتوعدهم ويأمرهم فيطيعون، أذلة كأنهم عبيد.

فكان هذا الصوت الجديد ملاذاً للأحرار والراغبين إلى المجد من الذين تشغلهم كرامة هذا الوطن وحقوقه، والذين يطمعون فى الحرية والاستقلال والعزة والكرامة.

وقد ظل مصطفى يجاهد ويكافح ويناضل فى مثل هذا الجو المظلم حتى قضى فى ساحة الجهاد، فخلفه (فريد) فكان مثل صاحبه قوة عزم وشدة بأس ورباطة

---

(١) تفاصيل الحديث عن ثورة ١٩١٩ وما بعدها، هذا موضوع كتابنا المقبل (استقلال الاحتلال وزعماء ما بعد الثوره)

جائش ، وقوة على الجهاد وجلادا على النضال وسيراً إلى هذا المعنى الواضح الصريح الذى لا لبس فيه ولا غموض ولا التواء ولا مساومة .

ولقد لقى كما لقى صاحبه من الاضطهاد ألوانا ومن الاعنات صوراً وأشكالا وقد سجن وشرد وانتهى به الأمر إلى النفى فلم يزعجه ذلك ولم يرده عن تعصبه لفكرته ومبدأه بل ظل يكافح ويناضل ويفنى ماله وصحته وقواه على مذبح هذه الحقيقة الواضحة وهذا الأمل الكبير .

الجلاء ... لا مفاوضة إلا بعد الجلاء

وقد كان آثار لهذه الصيحة وهذه الدعوة القوية آثارها الفعالة فى نفوس الشعب فقد أصبح الحزب الوطنى مدرسة الأمل الجديد للكفاح فى سبيل الحرية وأصبح لهذه المدرسة شعراءها وكتابها وصحفها وخطباتها الذين بثوا الشعب هذه الأشواق ولقنوا الشعب هذه المبادىء وأذاعوا فى الشعب هذه الآمال والمطامح فامتلأت القلوب بها قوة وإيمانا . . .

وقد كان هذا كله إرهاصاً وإعدادا وتوجيها ، ينتظر الثغرة التى ينفذ منها ليندفع صاخباً هدارا كالموج ، أو قاصفاً عنيفا كالريح . وقدجاءت الفرص سانحة بعد وقف رحى الحرب العالمية الأولى ١٤ - ١٩ واتجاه الشعوب والأمم على أثرها للمطالبة بحرياتها وإعلان ولسن مبادئه الأربعة عشر وفيها ينادى بتقرير المصير .

ومن هنا كانت الثورة ، هذه الثورة الشعبية الصادقة القوية التى لم يقودها زعيم ولم يدفع إليها كبير ، وإنما كانت شعلة من الإيمان المتقد الحار فى قلوب الشعب ، تنفس عن نفسها ما لاقت فى سنى الحرب من ضغط وعنت وما قاست قبل سنى الحرب من عسف وإرهاق من أثار الاحتلال وأسوائه .

ولكن العجيب أن الذين قاموا للدفاع عن حقوق البلاد والمطالبة بحريتها بعد هذه الثورة هم أناس آخرون لا ماضى لهم فى الجهاد ولا تاريخ لهم فى النضال

بل إن منهم من كان عدواً للوطن ، عدوا لمصر ، ومن كان حليفا للانجليز وصديقا للمحتل ومن كان من صفهم ، ومن كان يناوىء الحزب الوطنى أشد المناوئة ويعين على تشريد دعاته وزعمائه بل ومن كان سببا مباشراً فى سجن (فريد) ستة شهور بدون ذنب ولاجريرة إلا أنه كان وطنيا فلما أمره سادته الانجليز أن يسجنه سجنه .

عجيب حقا ، أيها الشباب ، أن يقوم بالحركة الوطنية بعد انتهاء حرب ١٩١٨ قوم آخرون ليس لهم سابقة جهاد ولا كفاح وأن يستمع الشعب لهم ويسير ورائهم وأن ينتهى أمرهم بأن يكونوا قادة أسموه النهضة الوطنية وزعماء الحركة القومية ، وأن يكونوا على مدى الخصومة والفرقة بينهم زعماء هذا البلد وسادته الذين يفاوضون الانجليز ويضعون الدستور ويحكمون هذا البلد منذ سنة ١٩٢٠ إلى الآن .

والأمر فى الواقع له جانب مظلم لم يكتشفه إلا القليل ممن وصلوا إلى قرار الحقائق وسرائر الأمور فقد شردت انجلترا زعماء الحزب الوطنى وناوئتهم أشد المناوئة لأن صيحتهم الصادقة الواضحة لم تكن ترضى انجلترا (الجلاء !) وماذا يبقى للانجليز من سلطان فى مصر إذا تم هذا الجلاء ، وإذا نادت به الأمة وإذا اجتمعت عليه الكلمة ، وكيف يسمح الانجليز لشعب محتل عليه حماية غليظة أن تتوحد كلمته وأن ينادى بنداء واحد .

إذن فلا بد من عمل حاسم يطفىء نار هذه الثورة من جهة ، ويبعد هؤلاء (المتطرفين !) فى الوطنية من جهة أخرى ولا بد من مفاجئة جديدة تفرق هذه الأمة المتجمعة وتشغل هؤلاء الثائرين ، وتخلق طبقة من الزعماء لا تنادى بما ينادى به الحزب الوطنى ولا تحمل هذا الحماس وهذا الاشتعال وهذا التطرف وهذه اليقظة المكافحة الفدائية ، التى كانت تخيف الانجليز وتزعجهم ، والتى كانت تعمل دون تحفظ ولا تردد فى أشد عصور الاحتلال عنتا وظلما ، وفى أيام كرومر نفسه ، وكاد دعاتها الأبطال يجوبون أوروبا ويدافعون عن قضية الوطن ويبسطونها للشعوب وللأمم ويظهرون الناس على مدى تعسف انجلترا فى

القضاء على شعب حر نبيل له ماضية الكريم من الحرية والكفاح والعزة والسؤدد ويكشفون عن الجانب الغامض فى تاريخ انجلترا ، جانب الظلم والعسف والتعنت والطغيان ، هذا الطغيان الذى يسطو على كرامات الأوطان الحرة فيستذلها ، لهذا كله لا بد لانجلترا من أن تخلق طبقة جديدة من الزعماء وأن تخلق حزبا جديدا ، وهى قد نفت فريد من قبل الحرب إلى أوربا ومنعته من العودة إلى مصر — فتستطيع الآن أن تخلق هذا اللون الجديد من الزعماء الذين يؤمنون بالتفاهم والمهادنة والصداقة الانجليزية والوفاق والمسالمة والسعى ما وجدوا للسعى سبيلا .

لا بد من إيجاد حزب لا يفكر مطلقا فى أن يطرح قضاياه على العالم كله بل يتفاهم مع انجلترا وحدها ، ويتخذ لتفاهمه طريقة اللباقة والحصافة والكياسة والمداورة والمناورة السياسية فلا يكون جافيا ولا يكون صارما ولا يكون ثائراً ولا يكون متمسكا ولا قاطعا للأمور وأن يخشى التهديد والوعيد فيتراجع وأن يسعى للاستقلال بالطرق السلمية (المشروعة) فلا يثور ولا يناضل ولا يقاطع وأن يؤمن أيضا بأن هذا السعى فى سبيل استقلال مصر ، تطبيقا لمبادىء الحرية والعدل الذى تنشر رايتة (انجلترا ! .) وحلفاؤها ، كما جاء بالنص فى صيغة التوكيل الذى وضعه هذا الحزب الجديد ، حزب التفاهم والسلم والسعى للاستقلال

هذه الكلمات المطاطة الغامضة التى تحمل ألف معنى ، والتى تتخذ لنفسها طريقا طويلا ، وعمرا طويلا ، لتسعى ولتعمل ولتتفاهم ، هى ما أراده الانجليز .

وما دامت الأمة قد غلت مراجلها فلا مانع من أن يكون هذا الحزب الجديد وكيلا للامة لنيل استقلالها وأن يوضع على رأسه رجل اشترك فى جميع وزارات الاحتلال هذا الذى صنعه الانجليز والذى تولى الحكم فى مصر أربعة عشر سنة قرات مصر منه خلالها العبودية الكاملة والتسليم الكامل لهؤلاء المجرمين الظلمة ، هذا الرجل الذى كان الانجليز يعتبرونه أول أصدقائهم فى مصر ، والذى صاهره سعد زغلول ، وكان ذلك سبيلا لان يقفز سعد زغلول من مستشار فى محكمة الجنايات الى وزير بارشاد اللورد كرومر ورضاه حتى يشعر المصريون

أنهم بدأوا يمارسون هذه المناصب الكبرى ، سعد زغلول الذى كان حربا على الحزب الوطنى فى أبان جهاده ونضاله، سعد زغلول الذى قدم محمد فريد الى المحاكمة وكان وزيرا للحقانية بتهمة بأنه قرظ كتاب (وطنيتى) للغاياتى ، وكان القصد الأول والغرض الأول هو إسكات هذا الصوت وإذلال هذا الرجل الحر الذى يدعوا الى حرية وطنه ، بسجنه ستة شهور .

وهذا وصفت (المؤامرة) الجديدة ، مؤامرة حزب الوفد(١) ، الحزب الذى قبل التفاهم مع الانجليز ورضى بأن يصانعهم ولم يمتنع عن المساومة فى الحقوق الواضحة الصريحة والذى لم ترد فى أى بيان من بياناته ولا مشروع من مشاريع معاهدته ولا خطبه من خطب زعيمه كلمة الجلاء الا بعد أن دوى بها الشباب على كوبرى عباس سنة ١٩٤٦ ، هذه الكلمة التى الوفد يسخر من الحزب الوطنى لأجلها ربع قرن كامل ويرميه بالاغراق فى الخيال ، وهو فى ذلك يحالف الانجليز ويصانعهم لأن التصميم على المفاوضة بعد الجلاء هذا مبدأ خطير مزعج للانجليز وهو مزعج لصنائعهم .

ولم ينص الوفد فى قانونه أو توكيله الأمة على (الجلاء) أيضاً صريحا ودون أن ينص على وحدة وادى النيل نصا صريحا أيضا ، ودون أن يقف وقفة القوة والرجولة ويهدد بالأساليب السلبية أو الايجابية هؤلاء الطغاة ، وقد كانت الفرصة سانحة والأمة مهيئة ، وقد ثارت الأمة ثورتها تطالب بحقها الواضح الطبيعى (الجلاء والحرية الكاملة) فخدروا أعصابها بالوسائل العجيبة الغريبة ، وسائل الذهاب الى لندن للتفاهم ، وعرض القضية فى مؤتمر الصلح وتقديم مشاريع معاهدات ظالمة .

ولقد كانت مقابلة (١٣ نوفمبر ١٩١٨) هذه المقابلة التى اعتبرها هذا الحزب بدأ الجهاد أقسى صفحة فى تاريخ الاحتلال بالرغم مما يعتقد الناس اليوم أنها صحيفة شرف وفخار .

فى هذه المقابلة صرح سعد وعبد العزيز فهمى وعلى شعراوى تصريحات

---

(١) هذا رأيى الخاص المستقل وعلى تبعته وحدى

لا تزال لها خطورتها فى كيان الوطن وحريته، فى هذه المقابلة رضى هؤلاء الثلاثة بالهوان فصرحوا بعبارات كلها قبول للاحتلال ورضاً بالاستعمار .

قال على شعراوى (نحن نريد أن نكون أصدقاءاً للانجليز) ؟

وقال عبد العزيز فهمى (أن الحزب الوطنى كان يطلب الاستقلال وكل البلد كانت تطلب الاستقلال وغاية الأمر أن طريقة الطلب التى سار عليها الحزب الوطنى ربما كان فيها ما يؤخذ علينا وذلك راجع الى طبيعة الشبان من جهة ، فلأجل إزالة الاعتراض الوارد على طريقة الحزب الوطنى فى تنفيذ مبدئه الأساسى الذى هو مبدأ كل الأمم ، قام جماعة من الشيوخ الذين لا يظن فيهم التطرف فى الاجراءات وأسسوا حزب الأمة وأنشأوا صحيفة الجريدة وطريقهم أخف فى الخدمة من طريقة الحزب الوطنى) .

ومعنى هذا أننا قبلنا مبدأ الصداقة مع الانجليز ، ولم نعتبرهم خصوما ، ومن المغالطات أن يدعى عبد العزيز فهمى أن حزب الأمة يهدف إلى ما يهدف اليه الحزب الوطنى مع أننا نعلم جميعا أن حزب الأمة صنعه كرومر ، وأن من أنصاره وأعضاءه هؤلاء الذين آمنوا بالتفاهم مع الانجليز وذهبوا لمقابلة المندوب البريطانى فى يوم ١٣ نوفمبر وفيه أيضا إساءة للحزب الوطنى وإتهامه بأن أساليبه فيها يؤخذ على مصر وأسوأ ما فى تصريحات هذه المقابلة تصريح سعد زغلول قال :

« ومتى ساعدتنا انجلترا على استقلالنا التام فاننا نعطيها ضمانه معقوله على عدم تمكين أى دولة من استقلالنا والمساس بمصلحة انجلترا فنعطيها ضمانه فى طريقها للهند وهى قناة السويس بأن نجعل لها دون غيرها حق احتلالها عند القضاء بل نخالفها على غيرها وتقدم لها عند الاقتضاء ما تستلزمه المحالفة من الجنود » .

ومن هذا الحديث ترى كيف ارتمى سعد على أقدام الانجليز وكيف صرح لهم بهذه التصريحات الخطيرة التى هى فى ذاتها احتلال دائم وحماية غليظة ومعنى هذا أن الاستقلال فى نظره ألفاظ لا تحمل معانى

(١) لم يرد فى تصريحات سعد زغلول فى ذلك اليوم لفظ الجلاء وكلمة الاستقلال كلمة مبهمة غامضة وقد قام على أثر تصريح ٢٨ فبراير استقلال لازمة احتلال الجنود الانجليز (استقلال الاحتلال)

(٢) طلب سعد زغلول من انجلترا (مساعدته) على الاستقلال هو استجداء ، وإنما يطلب هذا من الشعب الذى أعلن شعورة دفاقا ، وثار فى وجه الاحتلال الانجليزى الغاصب فلم يكن هناك محل لمساعدة انجلترا أو غيرها

(٣) (الضمانه المعقولة ـ عدم المساس بمصالح انجلترا ـ ضمانة قناة السويس ـ حق احتلالها ـ محالفها على غيرها ـ تقدم عند اللزوم الجنود) كل هذا ما صرح به سعد زغلول وعاهد عليه المندوب الانجليزى ولم توكله الأمة فيه وما كان للأمة أن تطلب هذا مطلقا ، ولو طلبت هذا لأ مكن تحقيقه بأسهل الأساليب وبدون أراقة الدماء وتضحية الشباب ، ومعنى هذا أن سعد زغلول قد قتل روح النهضة

وإنى لاتسائل إذا كان سعد يقبل أن تعطى مصر كل هذه الامتيازات لانجلترا فما هو الاستقلال وماهى الحرية التى يطلبها ، وهل طالب بالحرية ، أم بمساعدته على الاستقلال ؟

واعجب من هذا تصريح سعد زغلول الآخير فى نفس المقابلة

(نحن نعترف بأن انجلترا أقوى دولة فى العالم وأوسعها حرية وإننا نعترف لها بالأعمال الجليلة التى باشرتها فى مصر ، فنطلب باسم هذه المبادىء أن تجعلنا أصدقاءها وحلفاءها صداقة الحر للحر وإننا نتكلم معك بصفتك مشخصا لهذه الدولة العظيمة ، وعند الاقتضاء نسافر للتكلم فى شأنها مع ولاة الأمور فى انجلترا ، ولا نلتجىء هنا نسؤاك ولا فى الخارج لغير رجال الدولة الانجليزية ونطلب منك بصفتك عارفا لمصر . . . أن تساعدنا للحصول على هذا المطلب ،

ومن هذا يتبين أن سعد زغلول لم يذهب إلى المندوب البريطانى ليفرض عليه حقوق الوطن ولا حرية الشعب ولا الجلاء الناجز وإنما كان حديثه معه عروض تدعم الاحتلال وخلق التقليد الجديد لقصر للقضية الوطنية على الانجليز فحسب ، وأشاده بانجلترا وأعمالها العظيمة فى مصر ومطالبتها بالمحالفة والمصادقة

وتلك هى قواعد العلاقة بين هذا الفريق الجديد من الزعماء وبين الانجليز ولا تزال هى المساوىء التى يختلف عليها الشعب مع الأحزاب والزعماء من ناحية ومع الانجليز من ناحية أخرى ومن هنا نتبين كيف قتلت مبادىء الحزب الوطنى وفترت وماتت وقامت على انقاضها مبادىء التفاهم والصداقة والاشادة بانجلترا وطلب المساعدة منها وعدم المطالبة صراحة بالجلاء ، وقد كان سعد زغلول أول من أخطأ وفصل مسألة مصر عن مسألة السودان وأجل الأخرى إلى ما بعد الانتهاء من الأولى

وعلى هذه القواعد السوداء سارت العلاقة بين مصر وانجلترا على ما تبغى انجلترا ، وأعتقد أن أقرر أن هذه التصريحات التى صرح بها سعد زغلول كانت حجة علينا إلى اليوم فى نظر الغاصب . ومازالت هى عقدة الخلاف بيننا وبين انجلترا وأستطيع أن أقرر أن سعد زغلول لم يكن له رجاء إلا أن تلغى الحماية ويبقى الاحتلال وقد تم هذا بتصريح ٢٨ فبراير ومن هنا تتبين مدى الفارق البعيد بين ما طالبت به الأمة وما عمل على أساسه الزعماء وقد كانت حقوق الوطن واضحة ولا تزال :

(١) لامفاوضة إلا بعد الجلاء (٢) لامعاهدة ولا ارتباط مع انجلترا
(٣) لاصداقة مع انجلترا بل خصومة (٤) وادى النيل قضية واحدة
(٤) انجلترا دولة العدوان على الحريات والكرامات

* * *

صدر بعد ذلك التصريح الانجليزى الغاشم (تصريح ٢٨ فبراير) الذى قتلت به انجلترا نار الثورة ووضعت عليها الماء ووضعت فى أعصاب الأمة الثلج ، وشغلت هؤلاء الزعماء الجدد الذين صنعتهم بالألوان الجديدة البراقة . هؤلاء الزعماء العقلاء المتفاهمين المسالمين ، بالدستور والحكم والبرلمان وكراسى الوزارة ، وأجلت الأمور الأربعة إلى معاهدات واتفاقات وقــد قبل الزعماء هذا الوضع الجديد دون أن يتم (الجلاء) الذى طالب به الحزب الوطنى منذ سنة ١٨٩١ ، وقد كان قبول هذا الوضع الجديد ضربة مسددة إلى الصميم وخطأ كبيرا فى حق هذا الوطن لاتزال اثارة السود باقية إلى الآن

ومن هنا تعرفون ان دعاة الوطنية الصحيحة ابعدوا وقدم غيرهم ممن لا ماضي لهم في الوطن وممن لهم ماض أسود في حرب الوطن وفي مناصرة الاحتلال والمحتلين ، فقبل هؤلاء التفاهم والصداقة وآمنوا بالمحالفة مع الانجليز وقبلوا عدم الالتجاء إلى غير (إنجلترا) وألقمتهم إنجلترا (تصريح ٢٨ فبراير) ووضعت لهم هذا المسرح الساحر العجيب ليمثلوا عليه أدوارهم وشغلتهم بالانتخابات والبرلمان والوزارة والحكم . وخفت صوت الجلاء وصوت وحدة وادي النيل إلى درجة أن رمي دعاتهما الأول بالغرور والاسراف في الخيال

وكان الحزب الوطني خلال هذه السنين خافت الصوت ولكنه قوي الشكيمة قليل الانصار ، ولكنه ثبت على المبدأ ، فانصرف عنه الناس ذلك لأن الزعماء الجدد علموا الشعب كيف يكون صاحب مصالح وهذه تستدعي الاتصال بالحاكمين وما دام الحزب الوطني لا يقبل الحكم فلا بد من الانصراف عنه ولقي من حزب الوفد ومن الأحزاب الجديدة المتفرعة منه كل سخرية وقدح في نداءه (لا مفاوضة إلا بعد الجلاء) وظلت الأحزاب تسيء إلى نداءه وإلى دعوته . . . حتى جاء اليوم الذي فهم الناس أن نداءه ودعواه هي أصدق دعوة وأخلص نداء وهو الهدف الأسمى والمطلب الكامل الصادق وإن كل ماسواه كان ضلالا وكذباً ومغالطة

هذا الحزب الوطني كان أصدق من يمثل مصر سنة ١٩١٩ وأصدق من يدعو لها ، ولكن الانجليز يعرفون أنه علم الأمة ألا تؤمن بالتفاهم ولا بالمفاوضة ولا بالمحالفة وإلا تقبلها في ظل التهديد بجيوش الاحتلال فأقصوه عن ميدان العمل وميدان الزعامة وقدموا غيره ، ولكن مبادىء الحزب الوطني ظلت حية وقوية في النفوس وغمرت ميدان الوطنية وميدان الجهاد

ثم فجع الناس في هؤلاء الزعماء الجدد الذين ظن أنهم سيسلكون بالوطن سبيله الصادقة الواضحة إلى حقه المقدس حين رأو منهم هذا الالتواء العجيب والتقصير البالغ والتهافت على رضاء الانجليز والسير في ركابهم واستماع إشارتهم والخوف من تهديدهم ووعيدهم ، ورأو منهم إنقيادا عجيبا لدار المندوب وخصومه وفرقه محزنة في سبيل التآمر على كراسي الحكم فكان هذا الربع قرن كافيا لأن

تنفض الأمة عن هؤلاء الزعماء وأن تنكرهم وأن تكفر بالتفاهم والمفاوضات والمحالفات وأن تعرف طريقها الصادق الواضح . طريق وحدة وادى النيل والجلاء الناجز ، لا ترضى به بديلا

وقد استطاعت فى خلال هذه الأعوام المظلمة السوداء أن تتبين الطريق وأن تعرف أن دينها الكريم هو الذى رسم طرائق العزة والقوة والايمان الصادق فأكتمل وعيها الاسلامى واعتدل طريقها الوطنى فكانت الوطنية عندها جزءاً لا يتجزأ من الاسلام ، ولن يرضى الاسلام للمنتسبين له ذلا ولاهوانا ، ولا يرضى لهم جنوحا إلى الظلم أو قبولا للعسف وإنما طالبهم دائما بالجلاد والكفاح والنضال والعمل الصادق للحرية والكرامة والعزة فى ظلال الوحده والاخاء

اخرجوا من بلادنا

(١) قال الشعب كلمة فى ثورة ١٩١٩ : لا حماية ولا احتلال ولا مفاوضة إلا بعد الجلاء ولم يتزل (١) الشعب عن مطالبه ولكن الزعماء هم الذين نزلوا عند مطالب الانجليز ونصحوا البلاد بقبول اقتراحاتهم

بمقارنة مشروع ملنر(٢) ١٩٢١ - بمعاهدة ١٩٣٦ - (بمشروع صدقى - بيفن ١٩٤٦) نجد أن الأمة لم تكسب شيئاً أكثر مما أعطاها الانجليز فى المرة الأولى وكأن هذه اليقظة الوطنية الدامية التى أثبتت وجودها خلال هذا الربع قرن لم يقدم انجلترا خطوة واحدة عن أوضاعها الاستعمارية الظالمة ، وكأن هذه الضحايا التى قدمتها مصر وهؤلاء الشهداء الذين خضبوا الأرض بدمائهم ١٩١٩ - ١٩٣٥ - ١٩٤٦ لا أثر لفدائيتهم ، وكان هذا الشعور المتوقد الفوار فى هـــذا الشعب وهذا الايمان بحقوقه لا قيمة له

(٣) لا زال زعماء مصر منذ سنة ١٩٢١ هم الذين يفاوضون الانجليز إلى الآن

(٤) يجب أن يفهم الشعب هذه الحقائق التى طالما خدع عنها تحت ضجيج الهتافات والتصفيق . إن زعماءهم الذين وثقوا بهم منذ ١٩٢٠ كانوا على استعداد لأن (يتنازلوا عن كثير من المطالب ليقابلوا الانجليز فى منتصف الطريق) وقد كان الخلاف بين سعد وعدلى سببا فى تقديم مشروع (كرزن) الذى هو الحماية بعينها فى ثوب معاهدة شرعية وكان الخلاف بين النحاس وصدقى هو سر تقديم هذا المشروع (بيفن) الذى هو صك حماية واستعباد

(٥) والخطأ كله يرجع إلى قبول مبدأ المفاوضة مع الانجليز وقبول النظام الجديد فى ظل الاحتلال ولو حيل بين الوطن وبين هاتين الغلطتين الكبيرتين ووقف الشعب وقفة الرجولة والقوة والتماسك لما وصلنا إلى ما نحن فيه اليوم .

---

(١) (ص ١٢ — ربع قرن فى مفاوضات — محمد زكى عمر)
(٢) الحديث يتوسع عن المفاوضات فى كتابنا القادم

من استعداء ومساومة على الحقوق الواضحة الصريحة ، فقد عمل الانجليز على الاستعانة بالزعماء على إسكات صوت الشعب كلما ثار وكلما أعلن شعوره : بإبادة كتائبه المؤمنة بالرصاص، وغلق معاهده ومدارسه ، وتعطيل صحفه ، ومنع إجتماعاته وإعتقال زعمائه وكلما أعلنت الأمة شعورها ونفست عن إيمانها المكبوت خدرت أعصابها بمشروع جديد كله إبادة لحقوقها وحصد لعزتها وقتل لكرامتها وإرغام لها على البقاء فى طوق الاستعباد والذل إلى ما شاء الله

(٦) والمطالع لنصوص هذه المشاريع التى عرضت على مصر من مشروع ملنر - إلى مشروع بيفن لا يجد بينها خلافا أو اختلافا إلا فى عبارات مطاطة عجيبة تحمل ألف معنى ، تحل محل عبارات أخرى، وأن مشروع ملنر الذى رفضته الأمة فى حماس بالغ كان أقل مما قبلنا فى سنة ١٩٣٦ ووقع عليه الزعماء جميعا وسماه الوفد (معاهدة الشرف والاستقلال !) وقد كانت انجلترا تحاول منذ ثورة ١٩١٩ إلى سنة ١٩٣٦ أن تعقد معاهدة على مصر ، لأنها كانت تريد أن تدعم احتلالها لمصر بمستند شرعى ، وقد تحقق لها ذلك فأصبح احتلالها لمصر بمقتضى معاهدة ، لا تستطيع مصر أن تقول عنه أنه ظلم ولا عدوان وقد دعمت أيضا معاهدة سنة ١٩٣٦ الظالمة اتفاقية ١٨٩٩ الباطلة واعترفت بها وقبلتها ، وقد كانت الأمة أعلنت منذ توقيعها أنها لا تقبلها وأنها فرضت على مصر فى ظرف دقيق ، وأن مصر قد أرغمت عليها إرغاما ، وأن موقعها كان صنيعة من صنائع الانجليز .

وقد كانت اتفاقية ١٨٩٩ ولا تزال ثلمة فى كرامة وحدة وادى النيل فقد اعترفت بانفصالها وفرضت رفع رايتين عليه (مصرية وانجليزية) وقبلت مصر بها إدارة السودان بالاشتراك مع الانجليز ، فضلا عن أنها قبلت تعيين حاكم انجليزى له ، وقد كان من نتائج هذه المعاهدة الباطلة أن جردت مصر من حقوقها فى السودان ، وطرد جيشها فى ١٩٢٤ ثم مات حقها موتا تاما بعد سنة ١٩٢٤ حتى أصبح للحاكم الحق فى الاتصال رأسا بانجلترا دون مصر وبمعاداة الشعور المصرى وقتله والسعى بالسودانيين إلى كراهية المصريين والمطالبة بالانفصال عنهم حتى أصبحت علاقة مصر بالسودان فى نظر الانجليز علاقة لا صحة لها ولا أساس .

(٧) كانت هذه المعاهدات والمحادثات والمشاريع خلال هذا الربع قرن هى عنوان المساومة على الحقوق والحريات وهى من جانب المصريين محاولة كسب ما يمكن كسبه من الحقوق كأنها ليست حقوقا طبيعية معترف بها لا سبيل إلى الجدال فيها والاختلاف عليها ، وقد تشدقت مصر طويلا بالصداقة والمحالفة فى الوقت الذى لا تكن فيه انجلترا لمصر إلا كل عداء وخصومة وبغضاء والذى لا تعاملنا فيه إلا على أساس العسف والظلم والطغيان والذى تريد أن تضع أنفنا فى الرغام .

(٨) ولا أعتقد أن هذا هو السبيل إلى أخذ حقوق الأوطان ، وأن موائد المفاوضات لا تحقق الرجاء فى حريات الأوطان المظلومة المقهورة وإنما يكون استلاب هذه الحقوق بوسائل أخرى لا يعرفها زعماء الاحتلال ، وإنما يعرفها الشعب حين يؤمن بحقه إيمانا كاملا ويجاهد فى سبيل ذلك جهادا قويا وقد عرفت مصر حقها وآمنت به ولن يردها عنه أى إعنات أو طغيان أو ظلم أو عسف ، سواء وجه لها من الانجليز أنفسهم ، أم على الطريقة التقليدية بأمرهم ونصائحهم وبأيدى الزعماء والحكام فى مصر .

وعلى شعب مصر الباسل الكريم أن ينظم جهاده وكفاحه ، وأن تتخير الأساليب السلبية أولا ولا محل لما يقوله المتشائمون من أن وسائل الجهاد بالسلاح فحسب ، وكل الامم المقهورة المظلومة كانت تقاسى ما تقاسى من ضغط وعدوان ، وكانت لا تجد فرصتها لإعداد السلاح للجهاد فكيف جاهدت بدونه ؟

عليها أن تجاهد بالشعور القوى الدفاق ، والعمل المنظم الصامت ، والاضراب الكامل الشامل الذى يستمر الأيام بل والشهور ، وتجاهد بمقاطعة الانجليز ثقافيا واجتماعيا وتجاريا .

* * *

إن مركز وادى النيل من أجل المراكز وأخطرها فى خريطة العالم ، وذلك ما يستدعى أن يكون حراً من غير مقيد ، ولا يجوز أن يكون لدولة ما فيه مركزاً خاصا أو امتيازاً خاصاً وقد نصت معاهدة ١٨٨١ التى وقعتها انجلترا وألمانيا

والنمسا وفرنسا وإيطاليا والروسيا وتركيا على ذلك ، وليست مصر عاجزة عن القيام بواجبها فى الدفاع عن حياضها وحراسة قناة السويس والتاريخ يشهد بأن فى جلده أبناءها عزما وقوة والتهابا وإيمانا .

أما الادعاءات الكاذبة بأن مصر طريق الهند أو غير الهند فهذه ألفاظ لا قيمة لها فى نظرنا ولا اعتبار لها فى حسابنا وعلى انجلترا أن تحمى الهند أو غير الهند ولكن دون أن يكون من ذلك تعله إلى أن يفرض علينا أى قيد .

وقد آن الوقت أن نقولها صريحة واضحة ، أن استقلال مصر جزء لا يتجزأ من استقلال الوطن العربى كله وكل استقلال جزئى لا تكون له النتيجة الكاملة المبتغاه ليس باستقلال ، وما قيمة جلاء القوات الانجليزية عن مصر لتكون فى ليبيا أو فلسطين أو السودان ، وماذا نكون قد فعلنا إذا رفعنا قيدا عن أعناقنا لنضعه على أعناق أخوة لنا فى الوطن الاسلامى .

إلا فليعلم الانجليز إننا كرهناكم ، ولم يبق لكم فى نفوسنا أى تقدير ، فقد عرفنا فيكم خلف الوعد ونفاق الحديث والتواء القصد ، ومحاربة الوطنية وإهدار الكرامة وتشوية الحقائق ، والايقاع بين الزعماء ابقاء لسيادتهم واستعبادهم وحرصا على إذلال الوطن الحر القوى والأمة المؤمنة المجاهدة تريد الجلاء ، نريد وحدة الوادى ، حقائق واقعة ، لا ألفاظاً براقة . جلاءاً سريعا لا وعوداً تضاف إلى الوعود الكاذبة .

اخرجوا من بلادنا وإلا فاننا سنخرجكم منها .

نحن لا نؤمن بصداقة الانجليز فكم كذبوا فى وعودهم ، فان أرادوا صداقتنا فلن يكون ذلك إلا بعد الجلاء وعلى قدم المساواة وجريا على تحقيق مصالحنا

لا نريد قيدا واحدا يغل ثقافتنا أو ماليتنا أو اقتصادنا أو مجتمعنا .

لا تعاون مع الانجليز ولكن مقاطعة ومنابذة وخصومة .

نحن لا نثق بانجلترا وهى تعاملنا معاملة العبيد .

نحن لا نفاوض انجلترا لأن المفاوضة لم تحقق مطالب الوطن ، ولأنها مساومة على الحقوق الواضحة ، اننا على استعداد لأن نتعاون مع الشيطان فى سبيل الوصول الى حقوقنا كما كانوا هم استعداد للتعاون معه فى سبيل النصر فى الحرب

أيها الانجليز

لا تصدقوا من يخدعوكم بأننا ضعفاء ، أو بأننا راضون عنكم ، فلم نرضى عنكم يوما واحدا ولولا القيود والرصاص، لرأيتم منا كل يوم لونا من ألوان العداء ولكن هذا الجهاد ن يكون تظاهرا وهتافاً ، بل سيكون عملا جديا صارما إن روح الشعب قوية حية ، وهى كل يوم تزداد حيوية وقوة وإيمانا ذلك بأنكم ظلمة وبأننا على الحق ، وإننا اليوم لا نقل رغبة فى التضحية والجهاد عن شباب ١٩١٩ .

وأن دمنا الغالى رخيص مبذول فى سبيل الحرية الكاملة ووحدة وادى النيل وأن مصر لن تخدع ولن تستغفل مرة أخرى بمعاهدة ظاهرها براق وباطنها نار وجحيم ، وعبودية وقيود .

وإن مصر قد حطمت أغلالها وكفرت بهؤلاء الزعماء ، ساسة الاحتلال ، عقليات الاحتلال ، وقد نبذتهم لأنهم أنصاركم ولأنكم صنعتموهم ورفعتموهم إلى هذه الابراج العاجية فابعدتموهم عن الشعب ، ولن نؤمن لهم وهم فى واد والأمة فى واد والأمة أقدر منهم على تحقيق أهدافها ، والوصول إلى حقوقها كاملة

وعلى الأمة أن تقاطع وتعلن الاكتفاء الذاتى وتنشط حركة المغازل اليدوية وتعزف عن الترف والكماليات وتصبر على ذلك وسترى من نتائجه العجب العجاب فى نوال الحقوق وعلينا أن نعلن هذه المقاطعة ونتبعها بالدعوة الموحدة القوية فى كل حى وكل مدينة وكل قرية وكل عزبة وكل كفر ، ينادى بها الرجال والنساء والأطفال ويرتلها الشباب وتعلنها المساجد والكنائس والمدارس والجامعات والدواوين

أخرجوا من بلادنا

وعلينا أن نلقن أبناءنا كراهية الانجليز ومقتهم ونرسم لهم صفحات الذل والعبودية ونضع أمام ناظرهم يوم ١١ يونيه سنة ١٨٨٢ يوم ضرب الاسكندرية ويوم ١١ يوليه سنة ١٨٨٢ يوم هزيمة عرابى ويوم مأساة دنشواى ، وثورة

سنة ١٩٢٩ وثورة سنة ١٩٤٦ فان التاريخ لايحمل فى طياته إلا صوراً دامية وأياما سوداء كلها عدوان وظلم وعنت من جانب انجلترا

وقد أثبت الواقع كذب وعودها ، فى الحرب والسلم ، وإنما كانت تقصد بها فى الحرب إلى طلب المعاونة حتى إذا انتصرت صفعت أنصارها ، الذين أشبعوها وأجاعوا أنفسهم صفعة مرة .

أين مبادىء ولسن الأربع عشر التى نادت مصر بها فأعلن ولسن أن الحماية فى مصر قائمة وأنها حق لانجلترا فهدم بذلك مبادئه قبل تنفيذها

أين ميثاق الأطلنطى وأين الحريات الأربع ؟ . .

إنها كلها وسائل النصر فى حرب الاستعمار ، لتعود انجلترا من النصر لتعمل مرة أخرى على استعباد الشعوب وأذلال الأمم

إن انجلترا ظالمة طاغية ، ولن ننسى هجومها على المتظاهرين العزل من كل سلاح ، لأنهم طالبوا بحق وطنهم من الحرية

وقد استجابت الآمه كلها لهذه الكراهة ، وهذه المقاطعة

ولا توجد فى مصر الآن فئه تخشى الانجليز إلا هذه الفئة الضالة ، صنائع الاحتلال ، هذه التى عاشت فى أكنافهم ، أما الشعب كله برجاله وشبابه ، فقد أخرجوا الانجليز من قلوبهم وأمنوا بمدى ماوصلت اليه انجلترا الآن من ضعف وتحطم فلم يعودوا يخشوها أو يخافوها، نعم إن مصر قد كفرت (بالصداقة) الانجليزية وأمنت بالخصومة والعداء لها ، وتنكرت للاساليب الناعمة المجرمة التى تتبادلها مع الزعماء فى مصر لتحمل الأمة على قبول قيود من حرير وأصفاد من ذهب

وإن انجلترا لن تستطيع بعد اليوم أن يستعبد الناس اوتسطو على الأوطان وأصحابها أحرار مهما استعانت بصنائعها من الزعماء ويوم تعلن مصر صيحتها سوف لاتبقى على هؤلاء وأولئك .

أنور الجندى

مطالبنا وحقوقنا

(١) الاستقلال التام لوادى النيل دون أى تدخل أجنبى وبدون أى قيد أو مساس بهذا الاستقلال وأن يجلو الجنود الانجليزية عن وادى النيل فلا يكون هناك جيش إحتلال فى أى بقعة من بقاعه

(٢) أن ترفع هذه القيود والأغلال التى فرضت على تجارتنا وزراعتنا وصناعتنا إبان الحرب وقبل الحرب والتى قبلناها مساهمة فى المجهود الحربى ، وأن تلاحظ انجلترا أننا أمة يتكاثر عددها باضطراد وتضيق أرضها وموارد ثروتها ، وأنه ليس من العدل أن يأخذ الأجنبى كل شىء ويحرم الوطنى من كل شىء أيضا

(٣) قناة السويس أرض مصرية حفرت بدماء مصر وجهود أبنائها وأموالها فيجب أن يكون لمصر حق الاشراف عليها وحمايتها وينظم شأنها ، وتقرير حيدة قناة السويس طبقا للمبدأ الذى تقرر فى مؤتمر الأستانة سنة ١٨٨١

(٤) عدم الاعتراف ومقاومة كل زعم من مزاعم إنجلترا يقصد به إيجاد أى مركز ممتاز خاص لها فى جميع أنحاء وادى النيل

(٥) (السودان) لا نقول أننا نطالب بحق مصر فيه ، فليس لمصر حقوق فى السودان ، ولكن السودان جزء ثابت من الوطن ، فهو مصر الجنوبية ومصر هى السودان الشمالى وكلاهما وادى النيل

إن النيل الذى يتوقف عليه حياة مصر أرضا ونباتا وحيوانا وأناسا إنما ينحدر اليها من السودان ومن ماءه ومن طميه تكونت أرض الجنوب كما نشأت أرض الشمال ومنها بنيت هذه الجسوم وجرت هذه الدماء فنحن والاخوة السودانيون من ماء واحد وطينة واحدة

(٦) معاهده ١٨٩٩ الخاصة بالسودان تعتبر باطلة ملغاه ولا أثر لها

* * *

أيها الشباب المؤمن . تمسك بحقوقك وافتدها واستجمع إرادتك واعرف أن سبيلك اليها هو الجهاد وأن للجهاد لذة فأصر على التضحية بالبذل، وقدم دمك ومالك فى سبيل حقوقك وأصر على هذه الحقوق ولا تقبل فيها مساومة ولا مفاوضة وعش فى سبيل الحرية والعزة ومت فى سبيلها

ولا بد من الجهاد ولا بد من البذل ولا بد من الفداء ولا سبيل غيرها ولا طريق سواها ؟